ISSN 2347-2456

٧١
المجلد

شعارنا الوحيد إلى الإسلام مرجديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثالث – المجلد الحادي والسبعون شعبان ١٤٤٦هـ – فبراير ٢٠٢٥م

الأستاذ الأديب السيد جعفر مسعود الحسني الندوي
إلى رحمة الله تعالى

- صنائع فاق صانعها ففاقت (افتتاحية العدد)
- إنا لفراقك يا أخانا لمحزونون !
- أجعفر ذلك الردي ؟
- خواطر للأستاذ السيد جعفر مسعود الندوي
- كتاب " أخي العزيز " : دراسة علمية وأدبية
- عن جعفر بن " رشيدٍ " أطيب الخبر
- الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي ورحلته إلى سلطنة عمان
- دموع أسى الفراق على نجل الأستاذ العملاق
- كادت عليه تصدع الأكباد

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
سبع مائة (بالبريد المسجل)	٧٠٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٧٥ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧١

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

February 2025 فبراير ٢٠٢٥م

العدد الثالث – المجلد الحادي والسبعون – شعبان ١٤٤٦هـ – فبراير ٢٠٢٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحى الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيدالأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الثالث – المجلد الحادي والسبعون – شعبان ١٤٤٦هـ – فبراير ٢٠٢٥م

❖ أخي القارئ :

كادت عليه تصدع الأكباد — مدير تحرير المجلة — ٥

❖ الافتتاحية :

صنائع فاق صانعها ففاقت — سعيد الأعظمي الندوي — ٦

❖ علم فقدناه :

إنا لفراقك يا أخانا لمحزونون ! — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ١٠

أجعفر ذلك الردي ؟ — د . محمد أكرم الندوي — ١٣

خواطر للدكتور جعفر مسعود الندوي — الأستاذ الدكتورحسن الأمراني — ١٥

كتاب " أخي العزيز " : دراسة علمية وأدبية — محمد فرمان الندوي — ٢٣

عن جعفر بن " رشيد " أطيب الخبر — د . محمد أعظم الندوي — ٢٩

الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي ورحلته إلى سلطنة عمان — الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي — ٣٣

دموع أسى الفراق على نجل الأستاذ العملاق — الأستاذ محمد أرشد عبد الغفور الندوي — ٣٧

❖ التوجيه الإسلامي :

الصحوة الإسلامية بحاجة إلى جهود علمية وإعلامية — الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله — ٤٠

الرزق في وحي الله وما يجب فيه من الحقوق — الدكتور غريب جمعة — ٤٣

الدعوة الإسلامية :

طاعة النبي صلى الله عليه وسلم — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٤٨

الحوار وسيلة سلام للمجتمعات البشرية — د . محمد أيوب تاج الدين الندوي — ٥١

النظافة في الحياة البشرية من خلال المصادر الإسلامية والدراسات الحديثية — د . يوسف محمد الندوي — ٥٧

❖ الفقه الإسلامي :

بعض قضايا معاصرة من مفطرات الصوم — د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٦١

❖ دراسات وأبحاث :

إطلالة على موقف المستشرقين من القرآن الكريم — د . محمود حافظ عبد الرب مرزا — ٦٧

شعر ألطاف حسين حالي في ضوء الكلمات القرآنية : دراسة وصفية — الباحث عبد القيوم — ٧٨

موقف النقد العربي القديم من ظاهرة التناص المعاصرة — الباحث عبد الرشيد الوافي — ٨٣

مكتبة شبلي النعماني العامة لندوة العلماء تاريخها ، وذخايرها العلمية — الأستاذ محمد فيضان النغرامي الندوي — ٩٠

❖ بأقلام الشباب :

مساهمة يوسف القرضاوي في الفقه الإسلامي المعاصر — الأخ ميزان الرحمن قاضي الندوي — ٩٣

شهر شعبان : محطة الإعداد لرمضان ورفع الأعمال إلى الله — الباحث خالد . ك . — ٩٦

❖ في رياض الشعر والأدب :

فيا غافرَ التَّوَّابِ فاغفر ذنوبَنا — الأخ برويز حاصل الندوي — ٩٨

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. الشيخ المحدث قمر الدين الغورخفوري إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

٢. الأستاذ محمد يحيى الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٣. الحافظ محمد خليل إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٤. الدكتور عتيق الرحمن الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٥. الأستاذ السيد نعيم أختر الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٦. زوجة الشيخ حبيب الرحمن السلطان فوري إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ الكريم !

كادت عليه تصدع الأكباد

صك مسامعنا نبأ حزين ، وخالط قلوبنا أمر مفجع ، وناجى ضمائرنا أسى مزدوج ، يكاد يقضي علينا ، ويجعلنا باكين دماءً ودموعاً ، وهو نعي الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي وقت صلاة العشاء في الساعة الثامنة ليلاً في ١٤/ رجب ١٤٤٦هـ ، ولم يستيقن أحد فور سماع هذا النعي ، لكن أمر الله كان قدراً مقدوراً ، فانطلق اللسان بالكلمة المأثورة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وكما يقول الشاعر :

خبر أتاني عن عيينة مفجع كادت عليه تصدع الأكباد

انتشر النعي المفجع كالنار في الهشيم ، فلم نصب بحزن وكمد فحسب ، بل آلم هذا النعي ندوة العلماء ، وملحقاتها ، ومن ينتمي إليها ، والأسرة الحسنية ، حتى العالم الإسلامي بأسره ، فجعلت ترتحل وفود الناس إلى مقر الفقيد زاوية الشيخ علم الله الحسني ، وتأتي رسائل التعازي عبر مواقع التواصل الاجتماعي إلى ندوة العلماء ، وإلى ورثته ، ولاسيما فضيلة الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ، حتى امتلأ الجو غماً وشجىً بالغين ، وصلت قوافل كل طبقة من الطبقات : العلماء والأدباء ، والشعراء ، والساسة ، والإداريين والموظفين الرسميين ، حتى الأغنياء والأمراء ، والكبار والصغار ، وشاركت في الصلاة عليه ، ومراسيم الدفن ، وكان الزحام كثيراً ، بحيث أديت صلاة الظهر في ثلاث جماعات منفردة ، ثم أقيمت صلاة الجنازة عليه بإمامة الشيخ السيد بلال عبد الحي الندوي حفظه الله ورعاه ، وكان أولاد الفقيد الأستاذ خليل أحمد الحسني الندوي والأستاذ محمد أمين الحسني الندوي والأستاذ عبد الحي الحسني الندوي قائمين في الصفوف الأوَل لدى جنازة الفقيد رحمه الله ، واستمرت مراسيم الدفن إلى ساعات ، هكذا وُري جثمانه بقلوب يعتصرها الألم ، وعيون تسيل الدموع .

حدثت بوفاة الفقيد ثلمة لا ترتق ، ووقع فراغ هائل لا يملأ ، إلا إذا شاء الله ، قد كان الفقيد رحمه الله يتميز بجوانب بارزة ، قلما توجد في شخصيات معاصرة له ، وهو يجمع بين العلم والفضل ، وبين التقوى والزهد ، وبين التواضع وهضم النفس ، وبين توقير الكبير وشفقة الصغير ، وبين الصدقة في السراء ، والإنفاق في الضراء ، وقد عرفته كأستاذ مثالي ، وأديب متضلع ، وصحافي بارع ، ووداع متفان في سبيل الله ، وإداري ذي تجارب موسعة ، رزقه الله فهماً رفيعاً ، وقريحة وقادة ، وحكمة لقمانية ، وسليقة حسنية ، وقيادة عصامية ، فكل ما زاره هش إليه وبش ، وتبشبش إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته ، ولا تزال الابتسامة تخالط بشره ومحياه ، رحم الله تعالى يا أبا خليل وأمين وعبد الحي ! وأغدق البارئ عليك شآبيب رحمته ، وأمطر على جدثك غوادي مغفرته ، ورفع شأنه في أعلى عليين ، وإنا لفراقك يا أبا خليل ! لمحزونون .

مدير تحرير المجلة

٢٠/ رجب ١٤٤٦هـ

صنائع فاق صانعها ففاقت

استأثرت رحمة الله تعالى بالأخ العزيز الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي في الرابع عشر من شهر رجب سنة ١٤٤٦هـ ، المصادف ١٥/ يناير عام ٢٠٢٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . كان هذا الحادث مبعث حزن كبير لنفسي ولندوة العلماء ، وللأسرة الحسنية التي كان من أجدادها الشيخ قطب الدين المدني الذي هاجر من المدينة المنورة إلى الهند ، فظل يقوم بالدعوة والإصلاح في أرجاء الهند ، وكان ينشر عقيدة التوحيد ، ويصحح الأفكار الزائغة ، والنظرات الباطلة ، وخلف وراءه أسرة حافلة اشتغلت طول حياتها بهذه المناهج التربوية والإصلاحية ، واستوطن بلدة " كرا " في رائي بريلي ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى عام ٦٧٧هـ .

عرف التاريخ الإسلامي في الهند الشيخ السيد علم الله الرائي بريلوي الحسني في هذه الأسرة ، فقد عاش في الفترة ما بين ١٠٣٣هـ – ١٠٩٦هـ ، وكانت له صلة روحية بالشيخ الرباني السيد آدم البنوري ، إنه حضر في خدمته في عمره الخامس عشر ، وقد ربّاه تربية حسنة ، وجعله نائباً في أعماله ونشاطاته التربوية ، وقد نشأ الشيخ علم الله على اتباع السنة النبوية وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يشتاق إلى الهجرة إلى المدينة المنورة ، حيث هاجر منها أحد أجداده الشيخ قطب الدين المدني ، وقد استشار في هذا الأمر من شيخه السيد آدم البنوري ، فإنه وافق على ذلك ، لكنه قال : إذا لقيك أحد من العلماء ، وأشار عليك بالإقامة في هذه الديار الهندية ، فامتثِل قوله ومشورته ، وقد ترك الشيخ علم الله وطنه نصير آباد ، حتى وصل إلى مدينة رائي بريلي ، وأقام عدة أيام فيها ، وقد جرى لقاؤه خلال هذه الإقامة مع أحد الربانيين الشيخ عبد الشكور رحمه الله ، وأبدى أمامه أمنيته لهجرته إلى المدينة المنورة ، لكنه أشار على أن يمكث قريباً منه ، ويشتغل بالدعوة والإصلاح إلى الله تعالى ، وتوافرت له أراض واسعة ، حيث بنى فيها مسجداً صغيراً ، وأسكنه زوجته وأولاده هناك ، فهذا هو الموضع الذي عُرف فيما بعد بزاوية الشيخ علم الله الحسني ، وقد تحققت أمنية شيخه السيد آدم البنوري رحمه الله

تعالى بالإقامة في الهند ، ولا تزال هذه الزاوية منذ أربعة قرون مركزاً للدعوة إلى الله والإصلاح والتربية والإنابة والاشتغال بالذكر والدعاء .

كان الشيخ السيد علم الله الحسني ولياً من أولياء الله ، بعيداً عن زخارف الدنيا وبهجتها ، ومعرضاً عنها ، فلم تغره الأموال الطائلة ، ولم تخدعه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وقد كتب صديقنا الأعز الأستاذ السيد محمد الحسني مؤلفاً قيماً حول سيرته وأحوال أسرته باسم : " سيرة الشيخ السيد علم الله الحسني " ، إنه ذكر في كتابه قصتين باهرتين ، نذكرهما على سبيل الاختصار :

(١) كان الملك المغولي أورنغ زيب عالمغير معترفاً بشخصية الشيخ السيد علم الله ، ومعجباً به ، ولا يزال يذكره في مجالسه ، ويثني على إنجازاته وأعماله نحو إصلاح الناس وتربيتهم ، فمرة أراد أن يرسل إليه هدايا للفلوس والنقود ، فأرسل أحد وزرائه إلى الشيخ علم الله ، وهو يحمل هذه الهدايا ، فوصل إلى مقره ، وقدمها إليه ، لكن الشيخ اعتذر إليه ، وامتنع عن قبول هذه الهدايا ، وقال : نحن فقراء إلى الله ، يكفي لنا الكفاف من الرزق ، وكان الوزير شاطراً ، فإنه ظن أن الشيخ علم الله قد قدم العذر عن قبول هذه الهدايا ، ولعل زوجته تقبلها ، وتدخرها في بيتها إنفاقاً على أولادها ، وأقاربها ، فلما أرسل الوزير الخبر إلى زوجته قالت من دون تردد ولا توقف : إن الله تعالى أوجب نفقتي على الشيخ علم الله الحسني ، ولم يوجب على الملك أورنغ زيب عالمغير ، فاعتذرت كذلك عن قبول هذه التحف النادرة .

(٢) كان للشيخ علم الله الحسني أربعة أبناء ، وبنتان : فأما الأبناء فإنهم : السيد آية الله ، والسيد أبو حنيفة ، والسيد محمد هدى ، والسيد محمد جي ، وكان الشيخ آية الله الحسني كما يتحدث عنه العلامة عبد الحي الحسني : " أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح ، حفظ القرآن الكريم ، وتفقه على والده ، وكان رجلاً فاضلاً ، شهماً ، مقداماً ، صالحاً ذا قناعة ، وعفاف وسخاء ، أما السيد أبو حنيفة فإنه توفي في شرخ شبابه ، وعنفوان حياته ، ولما توفي هذا الفتى النابغ ، لم يتظاهر والده الشيخ علم الله بالبكاء ، والحزن ، ونهى زوجته عن رفع البكاء على فراقها ، فلم يسمع بعد وفاته صوت للبكاء والحداد ، بل صبر صبراً جميلاً ، وقد أعلن عن وفاته قائلاً : أيها الناس ! قد توفي ابني

السيد أبو حنيفة ، وأحمد الله على أنه مات على الإيمان ، والإسلام ، فإنه فرح وسُر بمفارقته هذه الدنيا على الإيمانٍ والإسلام ، ذلك لأن كل إنسان يولد في هذه الدنيا يفارقها إما عاجلاً أو آجلاً ، فهذا يكون من فضل الله تعالى عليه أن يفارق الدنيا وهو يؤمن بالله عز وجل ، وقد تقبل الله أعمال الشيخ علم الله الحسني قبولاً حسناً ، فوضع له التقدير والاحترام بين الناس ، فكان الناس يزورونه ويستفيدون منه ، وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ علم الله الحسني ، وقد بلغ من عمره ٦٣/ عاماً ، ولما توفي رأى الملك المغولي أورنغ زيب عالمغير في منامه أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ، وكان أورنغ زيب بعيداً عن وطن الشيخ علم الله كل البعد ، ولم يصل إليه نعيه ، إلا بعد أيام ، وبعد أيام أخبره أحد العلماء بتأويل هذه الرؤيا أن الشيخ علم الله قد توفي في تلك الليلة ، فكان هذا تأويل رؤياه .

وكان في أحفاد السيد محمد هدى بن الشيخ علم الله الحسني إمام الهجرة والجهاد الشيخ السيد أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله ، الذي هبت بأعماله التجديدية ريح الإيمان ، وتجددت ذكريات القرون الأولى ، ورأى الناس روائع من الإيمان واليقين والتضحية والفداء في سبيلٍ الله عز وجل ، فإنه أحيا فريضة الحج من جديد ، التي كانت مجهورة نظراً إلى الأخطار المحدقة برحلتها ، وقد أفتى بعض العلماء بعدم فرضيتها بالنسبة إليها ، لكن الإمام الشهيد قاد هذه المسيرة الإيمانية والدينية إلى الأرض المقدسة ، وقد رافقه عدد لا بأس به من الناس ، واستغرقت هذه الرحلة سنتين ، فتاب خلالها آلاف مؤلفة من الناس على يديه ، كما أنه أنقذ المجتمع الهندي من التقاليد المجحفة والطقوس الجائرة التي كان يتأوه تحت أعبائها وأثقالها الناس خاصتهم وعامتهم ، وقد نادى بالجهاد في سبيل الله ، فاجتمع عنه عدد وجيه من أتباعه والمعجبين به ، حتى وصل مع هذا العدد إلى بشاور ، وجاهد في سبيل الله حتى استشهد مع زملائه المخلصين في ساحة بالاكوت عام ١٨٣٠م .

وقد ورث شيخنا الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي هذه المزايا والخصائص البارزة عن آبائه وأجداده ، فكان سراً لهم ، وصورة صادقة لمآثرهم ، وقد قام بإنجازات وأعمال سجلها التاريخ الإنساني بماء من الذهب ، وقد جمع الله فيه من العلوم والفنون والآداب ما يندر وجوده في أي شخصية أخرى ، فحق لنا أن ننشد بهذه المناسبة قول

الفرزدق الذي خاطب به الإمام علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا النقي التقي الطاهر العلم
يُنمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم

كان الأخ العزيز الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي مطبوعاً على هذه السمات الطيبة للأسرة الحسنية ، وقد رباه الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ووالده الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، فكان يجمع بين خصائصهما من العلم والحكمة ، والتأمل والتفكر في أوضاع المسلمين وخصائص الأسرة الحسنية ، وقد نهج منهج هذين العلمين مدرساً ، وصحافياً ، وداعياً ومصلحاً ، وكاتباً قديراً ، وقد وفقه الله تعالى في آخر حياته بتأليف كتابين مهمين : أخي العزيز ، ودعوة للتفكر والتأمل ، وقد طلب مني أن أقدم لهذين الكتابين ، فقدمت لكتابه : أخي العزيز ، وإليكم قطعة منها :

" فقد كنت أقرأ مقالات تربوية وكلمات توجيهية في صحيفة الرائد الصادرة من ندوة العلماء ، وهي كلمات للأستاذ السيد جعفر مسعود الندوي ، يتزين بها كل عدد من صحيفة الرائد ، بعناوين ذات مغزى علمي ومعنوي ، وتشير إلى افتتاح موضوع مهم ، مما يحتاج إليه القراء وأصحاب القلم والعلم في الشئون الحاضرة ، وتتميز هذه المقالات بميزتين مهمتين : القصد والاتزان ، وتحقيق مهمة الدعوة إلى الله في العالم البشري ، فكان هذا الكتاب مبعثاً نحو حياة الإيمان والتقوى ، وكان حافزاً على بناء الحياة نموذجاً عالياً للإيمان الخالص ، وطريقاً واضحاً في سبيل الدعوة إلى الله ، مع ما يحمل من قيمة لغوية وأدبية وتعبير مشرق " .

رحم الله تعالى أخانا السيد جعفر مسعود الحسني الندوي وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وأكرم نزله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٤٦/٧/١٨هـ
٢٠٢٥/١/١٩م

علم فقدناه

إنا لفراقك يا أخانا لمحزونون !

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

بقلوب راضية بقضاء الله ، مفعمة بمشاعر الألم والرضا ننعى إلى الأمة الإسلامية والأوساط العلمية والدينية أخانا الحبيب الأستاذ جعفر الحسني الندوي ، نجل العالم الجليل والأديب الكبير الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، رحمهما الله . لقد كان هذا الخبر فاجعةً هزّت قلوب محبيه وأصدقائه وأهل العلم والدعوة ، لكنها في ذات الوقت دعوة للتأمل في حكمة الله في قضائه وقدره .

كان أخونا الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني رحمه الله نموذجاً للعالم الرباني الذي جمع بين العلم والعمل ، وبين التواضع وحسن الأخلاق ، وبين الإخلاص والإبداع الفكري .

شاء الله أن تنتهي حياة الشيخ جعفرمسعود الحسني في مشهد أليم ومفاجئ ، وهو في ريعان عطائه العلمي والدعوي . وكان على دراجته النارية ، حين نزل ووقف لبعض شأنه ، فاصطدمت به سيارة مسرعة وأودت بحياته .

كان أخونا الحبيب رحمه الله يشغل منصب الأمين العام لندوة العلماء ، وكان خير مستشار لي في مهام ندوة العلماء التعليمية والإدارية ، ويشد أزري . فكانت وفاته بالنسبة لي مفاجأةً مروّعةً وصدمةً عنيفةً ، أثارت في نفسي هماً بالغاً وحزناً عميقاً .

وكان الفقيد رحمه الله نشأ في كنف أبوين صالحين يدعوان له ليلاً ونهاراً ، وكانا يحوطانه برعايتهما الروحية والدعاء الخالص ، خاصةً أنه كان وحيدهما ، لقد رأيت والدته ، رحمها الله ، تبتهل إلى الله له ، ولا شك أن لصلاح الأبوين أثراً عظيماً في جلب رحمة الله وحفظه للأبناء . يقول الله تعالى : (وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ

تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً) [الكهف : ٨٢] .

هذه الآية العظيمة تدل على أن صلاح الأبوين سبب لحفظ الأبناء وازدهارهم .

إن أخانا الأستاذ جعفر رحمه الله لم يكن مجرد عالم ، بل كان مثالاً للغيرة الدينية وحب الخير . لقد كان همه الأول الدين وخدمة الدعوة . وإنه قبل وفاته بساعة واحدة فقط ، قال لنجله خليل : " تصدق يا ولدي ! بعشر كسبك في سبيل الله ، تجد له بركةً عظيمةً وثمرةً جنيّةً " .

كانت هذه الكلمات البسيطة تفيض بحكمته وصدقه ، وتُظهر كيف كان الدين حاضراً في كل جزء من أجزاء حياته . لقد كان يؤمن أن الإنفاق في سبيل الله باب للبركة والخير ، وكان يسعى لتوريث هذا الفهم لأبنائه ، كما ورثه هو من كبار أسرته .

هذا الحادث الذي يبدولنا من منظورنا البشري صدمة مؤلمة ، هوفي حقيقته جزء من حكمة الله التي تهيمن على كل شيئ . قال الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً) [آل عمران : ١٤٥] .

لقد أضاء الأستاذ جعفر حياته بنور العلم والعمل ، وجعل همه الدعوة إلى الله ، ثم اختاره الله إلى جواره . إن كل شيئ بيد الله ، وهذه الدنيا ما هي إلا رحلة قصيرة إلى دار الخلود .

إن الله سبحانه بحكمته البالغة يختار أحياناً أن يزيل من حياتنا أعظم الدعائم التي كنا نظن أننا لا نستغني عنها ، ليعلمنا أن الركون الحقيقي يجب أن يكون إليه وحده .

فقد قبض الله سبحانه زوجة نبيه الحبيب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي كانت تؤازره وتشاطره الهموم ، وعمه أبا طالب الذي كان يحدب عليه ويذب عنه ، في أصعب مراحل الدعوة ، ليعلّمنا أنه لا ينبغي لعباد الله الأصفياء الاعتماد على البشر ، وأن النصر الحقيقي يأتي من الله وحده .

هذه الحادثة الأليمة تذكرني بكلمات الشيخ شرف الدين يحيى

المنيري (١٢٦٣م – ١٣٨١) رحمه الله ، حين قال : " لو أن الله قبض أرواح الصديقين في المفازة ، وترك الغربان والطيور تأكل من عيونهم وأجسادهم ، لما كان لأحدٍ أن يعترض . فإن الله يقول : الصديق لي ، والغراب لي ، فمن هذا الفضولي الذي يعترض على أفعالي ؟ " .

ما أعمق هذه الكلمات ! فهي تذكّرنا أن أقدار الله ليست عبثاً ولا ظلماً ، بل هي حكمة ورحمة من الله العليم الحكيم .

ومن المشاهد الملموس أنه كلما ازداد إيمان الإنسان بالله وتعمّقت صلته به ، ازدادت طمأنينة قلبه وسكينة نفسه . والإيمان يُنشئ يقيناً بأن كل ما يحدث بتقدير الله وحكمته ، وأن وراء كل مصيبة خيراً قد لا يدركه العبد .

حينما تكون صلة الإنسان بربه قويةً ، يدرك أن الدنيا دار ابتلاء ، والمصايب جزء من هذا الابتلاء . يرى المؤمن في المحن رحمةً خفيةً وفرصةً للتقرب إلى الله بالصبر والدعاء . وهذا الإيمان يُخفف وقع المصايب ويجعلها أهون .

الإيمان القوي يجعل الإنسان لا يتعلق بالدنيا تعلقاً زائداً . يدرك أنها وسيلة وليست غايةً ، وأن الفقدان زائل ، وما عند الله خير وأبقى . بهذه النظرة ، يخف الحزن ، وتصبح المحن أداةً للثبات والتقرب إلى الله .

إن فقد العلماء مصاب جلل ، ولكنه أيضاً دعوة لنا أن نكون أوفياء للإسلام وللغاية الحقيقية ، وهي إعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام . وسيجزي الله كل من أسهم في تحقيق هذه الغاية ، وسيتقبل سعيه بفضلٍ وكرمٍ .

نعم ، إن رحيل العلماء يفتح باباً لتجديد العهد مع الله ، لنكون مشاعل تضيئ الطريق للأجيال القادمة ، كما كان الشيخ جعفر رحمه الله مشعلاً منيراً في حياته .

رحم الله أخانا الحبيب جعفر الحسني الندوي ، وأسكنه فسيح جناته ، وجعل قبره روضةً من رياض الجنة . إننا إذ نحزن لفراقه ، نحتسبه عند الله من الشهداء والصديقين ، ونتطلع إلى لقائه في دار الخلود ، حيث لا حزن ولا ألم ، بل سعادة أبدية في جوار الله .

ونقول : إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيئ عنده إلى أجل مسمى

أجعفر ذلك الردي ؟

بقلم : د . محمد أكرم الندوي
أوكسفورد

واللّٰه ما أنسى ما مشيت على الأرض راحلاً رزئتُه اليوم (الأربعاء ١٥ رجب سنة ١٤٤٦هـ الموافق لـ ٢٠٢٥/١/١٥ م) ، نعى الناعون جعفراً وأسمعونا ، فاستكت المسامع ، وراعوا أفئدة لا تزال مروعة ، نعوا زميلنا وصديقنا ذلك الأشم الأصيل ، ترك الدنيا مغترباً ، متفجعاً صحبه وأهلوه ، ومتحسرةً ندوة العلماء ودارها للعلوم ، وشجيةً بلدتا رائي بريلي ولكناؤ ، وا أسفاه ! يا حزناه ! إني من هذا النبأ الحزين لمجزع ، وجفن العين ملآن مترع .

رجعت من صلاة العصر ، فإذا بالجوال حافل بالرسالات والاتصالات ، فنظرت فيها وهي مبلغة إياي أن جعفراً صدمته سيارة وهو على ممر من الناس في بلدة رائي بريلي ، وأردته صريعاً ، والموت يكلف بالكرام ويصطفي الأسياد ، فتألمت القلوب ، وزفرت الأضالع ، وجرى ماؤها من المدامع ، يقولون : إن الكلوم تعفو ، أحقاً يعفو هذا الكلم الجلل ؟

فأسرعت إلى الاتصال بالعزيزين خليل وأمين نجلي المرحوم ، ولكن النكبة شغلتهما عن الاستجابة لي ، وهاتفت صديقي الشيخ محمد عبد الحي الندوي المقيم في قطر ، فإذا الشجى قد غلبه ، واتصل بي صديقنا الوفي محمد يوسف البوفالي ، باثًّا كلانا حزناً لا يوصف ، وهمًّا لا يؤثر .

يا ابن خير أب ! يا أيها الراحل الساكن في قلبي وفي جوارحي ! يا ليتك لم تفارقنا ، ويا ليتك لم تملأ قلوبنا بالمآسي والأحزان ، ويا ليتك لم تشعل لظى الأشواق تكوينا ! هل سنزور لكناؤ فنصبح بلا نور يلاقينا ، وهل ستغدو الرياح من تكية رائي بريلي ، ولا طيب فيها نعانقه ؟ هل أمر

بـديارك فأسـلم عليـك ولا تجيـبني ؟ أرجـوك أن تُـسمعني بالـصمت رجـع جوابك ، وأبلغ به من ناطق غير محاور .

يا أيها الحسيب النسيب ! أيها العالم الألمعي ! والأديب العبقري ! لقد كنتَ خير سند للشيخ بلال في قيادة ندوة العلماء ودارها المباركة ؟ لقد بعثتما روحاً في ذلك المعهد الذي رعاه المونكيري وشبلي وصاحب نزهة الخواطر ، ونمَّاه سليمان ومسعود علي وعبد السلام ، ورقاه أبو الحسن ومحمد ناظم ومسعود عالم ، يا باسق الأفعال ! لقد خلفت أولئك الأعلام ، ولا أرى أناساً عن يميني ولا عن يساري يخلفونك .

يا خليل ويا أمين ويا ذويكما ! لقد أمسيتم ولا أب لكم ، كما صرتم منذ سنين وتوفي جداكم شيخانا محمد واضح رشيد الحسني ومحمد الرابع الحسني ، لقد أقفرت لكم تلك البقعة المباركة التي حل بها آباؤكم الكرام ، فخلفوا سنة للتعليم والتوجيه والإرشاد متصلة عبر الأعصار والدهور ، ألا فاصبروا حاملين لتلك الراية ، ومؤدين تلك الأمانة .

يا جعفر ! يا أحلى الندويين ! لقد كنت زميلاً لي في دروس ندوة العلماء ست سنوات ، وأليفاً لي أثيراً منذ خمس وأربعين سنة ، لقد كنت لي صديقاً وفياً ، أبوح لك بسري ، وتبوح لي بسرك ، نعم الخليل كنت ونعم المؤنس ، سهل الفناء إذا حللتُ ببابك ، طلق اليدين ، لقد أحببتني كأنك لي ذو رحم ، وطيَّب نفسي أني أحببتك حبك إياي ، ولم أقل لك قط : كذبت ، لعمري إني بالخليل الذي له علي دلال واجب لمفجع .

يا أيها الأغر ! أيها الأخ الأمجد ! لقد كنتَ صادق النهض ، زينة مجالسنا ، يغلبك صمت ، وتعلوك ابتسامة ، وقلوبنا صافية ، وكنت رقراقاً نستقي به ، لقد أتانا النواح بلا إذن يواسينا ، أصدقاً يا جعفر أن يعيش أصحابك ولستَ بينهم ، يا خير من يحسن اليوم لك البكاء ، وقد كنت بالأمس للمدح مستحقا والثناء .

عليك سلام الله يا جعفر بن واضح ! ورحمته مخلدين في جنات النعيم .

خواطر للأستاذ السيد جعفر مسعود الندوي

(مجموعة افتتاحيات لصحيفة الرائد)

الأستاذ الدكتورحسن الأمراني *

بسم اللّه ذي الجلال والإكرام ، (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ، والصلاةَ والسلاَم عَلَى سيدِنا مَحمَد ، الَذي أرسَله اللّه (شَاهداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً) (وَدَاعياً إِلَى اللّه بإذْنه وَسرَاجاً مُنيراً) .

أما بعد ، فهَذا كتاب جَليل النفعَ ، جميَلَ الوقعَ ، ألفَه الأستاذ الدكتور جعفر مسعود الندوي ، واختار له اسم (خواطر) ، وعالج فيه عدداً من القضايا التي عرضت لخاطره في مناسبات متعددة ، بأسلوب ميسر ، وعميق ، والطابع العام لهذه الخواطر هو الإصلاح ، في وجوهه الخلقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والحضارية .

إن قارئ هذا الكتاب يحسّ بأن الهدف من تأليفه هو نهضة الأمة ، واستعادة رسالتها في خدمة الإنسانية ، وذلك بإشاعة قيمها القائمة على المؤاساة ، والمساواة ، والعدالة ، والحرية ، والاعتدال ، والوسطية ، وذلك هو ما مكّن قديماً ، وما يمكّن حديثاً ، من بناء حضارة راشدة من جديد ، إذ (الحضارة في الواقع ليست تقدماً مادياً مقطوع الصلة بالأخلاق والضوابط والحدود التي تحفظ الكيان الإنساني والكيان الاجتماعي) . ولا يمكن النهوض من جيد إلا بالتحرر من مفاهيم الغرب . (الغرب غرب ، يغرب فيه كل ما نعده من الفضيلة والحياء والحشمة والكرامة والأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة) .

وإن شئنا اقتراح محاور تندرج تحتها هذه الخواطر استطعنا تلخيصها في ما يلي :

(١) الأخلاق

(٢) التوحيد

(٣) حسن التأسي بمحمد صلى اللّه عليه وسلم

(٤) العلاقة بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي

---

* رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وضمن هذه المحاور يعالج الكاتب القضايا الآتية ، مثل " طوفان الأقصى " ، وما سمي " الربيع العربي " الذي أجهضته الثورات المضادة التي مولها الغرب ، والأوبئة المادية والمعنوية التي رعاها الغرب ، مثل " كورونا " ، و " الإنفلوانزا " في أشكالها المعتدة ، والقيم الفاسدة التي تسلخ البشرية عن فطرتها الآدمية .

ولعل القارئ يسبق إلى ذهنه سؤال : لم اختار الكاتب اسم (خواطر) لكتابه ، والخاطرة يغلب عليها أن تكون من اللمح العابر ، الذي قد يغلب عليه العاطفة ، ولا يترك لسلطان العقل إلا هامشاً صغيراً ؟

يحملنا هذا على أن نعرّف الخاطرة ، كما حددها النقد الأدبي .

فما الخاطرة ؟ وما الفرق بينها وبين المقالة ؟

وهل الكتاب خواطر أم هو مقالات ؟

لتبين ذلك ينبغي تحديد مصطلح المقالة ومصطلح الخاطرة .

ونختصر فنقول :

(١) المقالة : أول استعمال لكلمة مقالة ظهر حين نشر الناقد الفرنسي مونتين كتابه (مقالات Essays) عام ١٥٨٠ [١] .

و " المقال ليس حشداً للمعلومات ، وليس كل هدفه أن ينقل المعرفة ، بل لا بد إلى جانب ذلك أن يكون مشوقاً " .

" ولما لم يكن للمقال ميدان محدد فقد رأيناه يتنوع أنواعاً عدةً ، فمقال أدبي ، وآخر سياسي ، وثالث اجتماعي ، ورابع نقدي . . . إلى غير ذلك من الأنواع " .

(٢) الخاطرة : في ميزان النقد الحديث أن " الخاطرة من الأنواع النثرية الحديثة التي نشأت في حجر الصحافة ، ولكنها تختلف عن المقالة من عدة وجوه :

فالخاطرة ليست فكرةً ناضجةً وليدةً زمن بعيد ، ولكنها فكرة عارضة طارئة .

وليست فكرةً تعرض من كل الوجوه ، بل هي مجرد لمحة .

---

[١] Michel de Montagne :/١٥٨٠ Essais وقد قع وهم في كتاب الدكتور عز الدين إسماعيل : " الفنون الأدبية " حيث ذكر تاريخ ١٨٥٠ بدلاً من ١٥٨٠ . وما أحسبه إلا خطأً من الناشر .

وليست كالمقالة مجالاً للأخذ والرد ، ولا هي تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية لإثبات صدقها ، بل أقرب إلى الطباع الغنائي " .

" الخاطرة أقصر من المقال ، وهي لا تجاوز كثيراً نصف عمود من الصفحة ، وعموداً من المجلة " .

" الخاطرة تكون عادةً – وهي تختلف في ذلك عن المقال – بلا عنوان " [1] .

ولكن المتأمل يجد أنّ فن الخواطر ليس طارئاً على أدبنا ، ولا مستحدثاً كما يذهب المعاصرون ، وإن كان شاع مع أدباء عصر النهضة . إن لهذا الفن ، باعتباره مصطلحاً ، جذوراً في ثقافتنا . فقد كتب ابن الجوزي : " صيد الخاطر " [2] ، وعلل هذه التسمية ، مما يدلّ على أنه كان على وعي بأنه يخط شيئاً غير معهود عند كثير من الناس .

قال علي الطنطاوي في مقدمة الكتاب : " إن الخواطر لا تفتأ تمر على الذهن ، كأنها الطيور التي تجوز سماء الحقل ، فكأنك ما رأيتها ، فإذا أنت اصطدتها وقيدتها ملكتها أبداً . لذلك جعل المؤلف الكتاب " قيداً لصيد الخاطر " ، فكان الاسم نفسه نفحةً من نفحات العبقرية . وقد قلده فيه أحمد أمين ، فسمى مقالاته : " فيض الخاطر " وشتان ما هما " [3] .

قال ابن الجوزي في مقدمة كتابه : " لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تَعرض لها ، ثم تُعرض عنها ، كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا يُنسى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : " قيدوا العلم بالكتابة " . وكم قد خطر لي شيئ ، فأتشاغل عن إثباته فيذهب فأتأسف عليه . ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكّر ، سنح له من عجائب الغيب ، ما لم يكن في حساب . فانثال عليه من كثيب التفهم ما لا يجوز التفريط فيه ، فجعلت هذا الكتاب قيداً ، لصيد الخاطر . والله ولي النفع إنه قريب مجيب " [4] .

---

[1] ينظر في ذلك الكتاب المذكور آنفاً : الفنون الأدبية لعز الدين إسماعيل .

[2] راجعه علي الطنطاوي ، وحققه ناجي الطنطاوي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ – ١٩٦٠ .

[3] صيد الخاطر ، ص ٥ – ٦ .

[4] نفس المرجع : ٣٣ .

وخواطر ابن الجوزي في معظمها قصيرة ، لا تتجاوز الصفحة أو الصفحتين ، وقد تكون جملةً واحدةً أو نحو ذلك ، كالخاطرة السابعة التي سماها " في علو الهمة " ، وهي هذه :

" من علامة كمال العقل ، علو الهمّة ، والراضي بالدون دنيّ :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام "

غير أنها قد تطول ، أحياناً ، فتتجاوز عشر صفحات ، مثل الخاطرة رقم ١٩ ، التي عنوانها : " انحراف الصوفية " .

هذا ، وقد سمى الشيخ علي الطنطاوي أحد كتبه : " صور وخواطر " . فهل كان ينظر في هذا إلى صنيع ابن الجوزي ؟

لقد سمى الدكتور جعفر مسعود الندوي كتابه : " خواطر " . فهل كان يريد الاقتداء في هذا الاختيار بشيخه أبي الحسن ؟

لا ريب أن هناك شيئاً من هذا ، سواء أقصده المؤلف أم لم يقصده ، لأن روح أبي الحسن الندوي الحسني تتجلى في الكتاب .

والآن من حقنا أن نسأل أنفسنا : هل تنطبق على الكتاب الذي نحن بصدده الشروط المذكورة في فن الخاطرة آنفاً ؟

الحق أن ما تضمنه هذا الكتاب يتراوح ما بين الخاطرة والمقالة ، فغلبة حضور الروح والوجدان تجعله يندرج ضمن الخواطر ، إلا أنه في الوقت ذاته يجمع إلى ذلك الحجج والبراهين ، مما يسمح بإدراجه في فن المقالة . فهو بهذا يخاطب العقل والقلب معاً . وسبب هذا هو أن الكاتب جعل شعاره الإصلاح ، إصلاح النفس وإصلاح المجتمع . وموضوعاته تمس الأخلاق ، والتربية ، وبناء الروح ، كما أن خواطره تعالج قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والحضارية . فكان من الطبيعي إذاً الجمع بين جذوة الروح وشعلة العقل .

وقد نشر المؤلف هذه الخواطر في مجلة " الرائد "،ما بين ٢٠١٩ — ٢٠٢٣

ومما يشغل الكاتب قضية الإسلام والغرب ، فهي تبرز منذ مطلع الكتاب ، ثم ما تلبث أن تظهر في مقالات أخرى ، إلى آخر الكتاب .

قلت : إن الكاتب لا يكتفي بالكتابة العاطفية التي تحرك الوجدان ، بل يجمع من الحجج والبراهين ما ينصر به أطروحته . وهذه الحجج والبراهين متنوعة ، فهي مستمدة من التاريخ حيناً ، البعيد منه

والقريب ، والشرقي منه والغربي ، وهي تستند إلى تجارب واقعنا المعاصر ، وإلى شواهد من النصوص ، وفي مقدمتها نصوص القرآن والسنة ، وأقوال للسلف من الأمة ، من الصحابة والتابعين ، ومن تلاهم إلى عصرنا هذا . كما يقدم شهادات من الغرب المسيحي ، لرهبان منصفين . وهو بعد ذلك يصوغ كل ذلك وفقاً لرؤيته المتميزة .

يجد المتبصر في هذه الخواطر أن الكاتب مخلص لأرومته ، ومقتبس من جذوتها روحاً تهيمن على الكتاب . وهذه الروح التي أوقد جذوتها الشيخ عبد الحي الحسني ، وتلقفها الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، فسرت في شرايين كاتبنا ماءً عذباً فراتاً . فلذلك ما يفتأ يستحضر تلك الروح ، وهو يراها جامعةً لما يريد أن يبلغه من أفكار وعواطف .

ليس الدكتور جعفر مسعود الندوي خريج ندوة العلماء فحسب ، بل هو خريج مدرسة شيخها أبي الحسن الندوي ، الذي تسري روحه الإيمانية ، ووثباته الفكرية ، في ثنايا سطور هذه الخواطر .

وهذه بعض الشواهد على ذلك :

ففي الخاطرة التي عنوانها : " التخلص من مركب النقص هو العامل الأساسي للتقدم والنهضة " ، يقول : " إن النظر إلى تلك الفترة الذهبية التي كان يحكم فيها الإسلام ويسود فيها النظام الإسلامي في كل مجال من مجالات الحياة يعيد إلينا الثقة بالإسلام ، ويخلصنا من الشعور بمركب النقص ، وهذا ما نحتاج إليه الآن ، يقول المفكر الإسلامي الهندي الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي : " لا ينهض العالم الإسلامي إلا برسالته التي وكلها إليه مؤسسه صلى الله عليه وسلم والإيمان بها ، والاستماتة في سبيلها ، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالم رسالةً أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية منها ، وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في فتوحهم الأولى ، والتي لخصها أحد رسلهم في مجلس يزدجرد ملك إيران بقوله : " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " ، رسالة لا تحتاج إلى تغيير كلمة وزيادة حرف " .

وفي الخاطرة التي عنوانها : " إلى حقيقته الإيمان وحلاوته " يقرر أن الأوضاع الراهنة لا ينبغي أن تبعث فينا اليأس والقنوط ، ويستحضر قول أبي الحسن الندوي في ذلك : " لست قانطاً من ظهور حقيقة الإسلام في هذا العصر ، ولا نصدق ما يقال بأن الزمان قد تغير ، والمسلمين قد ابتعدوا جداً عن روح الإسلام ، فلا أمل في حقيقة الإسلام وغلبتها من جديد ، انظروا إلى ورائكم ترون جزر حقيقة الإسلام قائمة منتشرة في فجر التاريخ ، وأن الحقيقة لم تزل تطفو كلما رسبت ، وتظهر كلما اختفت ، وكلما ظهرت حقيقة الإسلام وتجلت في ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، أو عصر من عصور التاريخ ، غلبت وانتشرت " .

وفي " مهمة العالم الإسلامي اليوم " يعود إلى الاستشهاد بالشيخ أبي الحسن الندوي .

ثم يعود إليه مرةً أخرى في " أرض البشرية في حاجة إلى سمادها " .

ثم هو في خاطرة " بالإسلام سعدنا وعززنا " يورد بعض ما قاله الشيخ أبو الحسن في حفل تكريمه في دبي ، عام ١٩٩٩م .

ولا بأس من أن نقتطف من هذه الكلمة الأخيرة شذرةً لأهميتها .

" إن العالم العربي بحر بلا ماء ، كبحر العروض ، حتى يتخذَ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إماماً وقائداً لحياته وجهاده ، وينهضَ برسالة الإسلام ، كما نهض في العهد الأول ، ويخلّصَ العالم المظلوم من براثن مجانين أوربا الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنية ، ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير ، بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم ، ويوجّهَ العالم من الانهيار إلى الازدهار ، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب ، إلى التقدم والانتظام ، والأمن والسلام ، ومن الكفر والطغيان ، إلى الطاعة والإيمان ، وإنه لحقٌّ على العالم العربي ، سوف يسأل عنه عند ربه ، فلينظر بماذا يجيب " .

وهناك مواطن أخرى ، استشهد فيها بقول الشيخ أبي الحسن الندوي ، مثل ما ورد في الخاطرة التي عنوانها : " جبهة جديدة للهجوم على الإسلام " ، حيث يقتبس كلاماً قوياً من كتابه " إلى الإسلام من جديد " .

فلا غرو إن نحن حكمنا بأن الكاتب تخرج في مدرسة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى .

وهناك أسماء مفكرين آخرين كانت حاضرةً في الاستشهاد ، مثل سيد قطب ، ومحمد قطب ، ويوسف القرضاوي ، ومحمد الغزالي ، ومالك بن نبي ، مما يدل على أن هذه الخواطر لم تكن مجرد لمعات كالبرق ، بل كانت نتيجة تفكير وروية .

ولم يكن علماء الإسلام وحدهم مرتكزاً لهذه الخواطر ، بل كان لعلماء الغرب ، ولا سيما المنصفين منهم ، نصيب .

ونكتفي بضرب مثل واحد ، وهو رد بعض الرهبان الزعم السائد بأن الإسلام انتشر بالسيف .

ففي خاطرة عنوانها : " أسخف خرافة رددها الناس في التاريخ " يفتتح بشهادة راهب ، كان شماخا (شماسا) في إحدى الكنائس ، مضمونها : أن الذين يزعمون بأن الإسلام انتشر بالسيف لم ينتبهوا إلى أنه لمتذكر في القرآن كلمة " سيف " إطلاقاً . وفي مقابل ذلك ، فإن المسيحية التي يزعمون أنها دين التسامح والمحبة ، هي دين الاضطهاد ، وأن كلمة السيف وردت في الإنجيل مائتي مرة ، وأن دول أوربا دخلت المسيحية بحد السيف ، لا بتعاليم المسيح . وأنهم يرددون كلمةً لا يؤمن بها أحد منهم ، وهي : " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر " .

ويستشهد على صدق هذا الرجل بما كتبه راهب آخر ، نشر كتاباً سماه : " المسيحية والسيف ، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي الغزاة المسحيين " [1] ، ووصف فيه الملوك المسيحيين بالدمويين الذين ارتكبوا مجازر تقشعر منها الجلود وترتعد منها الفرائص في

---

[1] يقول الدكتور جلال محمد صالح ، على موقع " رابطة علماء إرتيريا " : " يعد كتاب " المسيحية والسيف " من أهم وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية ، على أيدى النصارى الإسبان ، كتبه المطران برتلومي ديلاس كازاس ، وهو شاهد عيان ، قص فيه ما رآه ووثقه بأم عينيه ، وترجمه سميرة عزمي الزين ، ولم يذكر الناشر اللغة التي ترجم منها ، وربما كانت الاسبانية ، وهو من منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية . وكتب مقدمته الناشر نفسه ، وصدرت أول طبعة له بالعربية ، عام ١٩٩١م ، وهو متوسط الحجم ، في حدود خمس وتسعين صفحة . وحسب مقدمة الناشر، ولد كاتبه – المطران برتلومي – عام ١٤٧٤م ، في قشتالة الاسبانية ، ومات معزولاً في إسبانيا " ، لأربعاء ١ يناير ٢٠٢٥ ميلادي – الموافق ١ رجب ١٤٤٦ هجري .

الأراضي التي دخلوها واحتلوها وأدخلوا شعوبها في المسيحية بأدوات الحرب لا بتوجيهات المسيح " [1] .

أما انتشار الإسلام سلما ، فقد استشهد عليه بإسلام التتار والمغول ، وإسلام ماليزيا وأندونيسيا ، كما قوى استشهاده برأي الكاتب الأمريكي الشهير أليكس هيلي الذي قال في كتابه " الإسلام في مفترق الطرق " : " إن اتهام الجيوش المسلمة بأنها خرجت تخضع الشعوب كلها بالقهر وحد السيف للإسلام هو أسخف خرافة رددها الناس في التاريخ " .

بقي أمر جدير بأن نشير إليه ، وهو أن الكاتب يعرض لبعض الأوهام التي صارت عند طائفة كبيرة من الناس ، وكأنها من الحقائق المطلقة ، بسبب التضليل الإعلامي ، فيأتي عليها الكاتب من القواعد لبطلانها ، سواء أ تعلق الأمر بأحداث من التاريخ القديم ، أم بوقائع من التاريخ المعاصر .

وحسبنا هذا المثل من التاريخ المعاصر ، فقد رد خرافة شاعت ، وهي الإسلام هدم الحضارات التي سبقته ، ويستشهدون بفعل لطالبان ، وهي أنهم هدموا تماثيل بوذا ، في حين : " أن أفغانستان فتحت في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وظلت تماثيل بوذا أربعة عشر قرناً ، وعاش طالبان مع تماثيل بوذا خمسة أعوام ، ولما جاءت الأقلية الشيعية وحاولوا الاتفاق مع البوذيين واليابان لإسقاط نظام طالبان فهدموها ، فالعمل السياسي دفع الطالبان إلى هدمها " .

وتلك حقيقة كانت تغيب عن كثير من الناس .

ولو أردنا استقصاء ما يشد القارئ من هذا الكتاب لطال بنا الحديث . ولكني أطمئن القارئ صادقاً على أن عَيْبَتَهُ [2] الإيمانية والعلمية ستجد في ما هو بين يديه من الكتاب ما يزكيها .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

---

[1] خواطر ، ص ٢٣ .

[2] سمى ابن رشيد السبتي رحلته : ملءُ العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبَة .

كتاب " أخي العزيز " : دراسة علمية وأدبية

محمد فرمان الندوي

اطلعنا على كتاب الأستاذ الأديب علي الطنطاوي : مقالات في كلمات ، وقرأنا هذا الكتاب ، فأعجبنا بأسلوبه ومنهج كتابته ، وتنوع عباراته ، وجمال تعبيراته ، وهو لا شك مصداق لهذا المثل العربي السائر : كأنٍ البحر صب في كأس ، طبع الكتاب ، ونال شهرة فائقة ، وصيتاً حسناً ، وقبلته الأوساط الأدبية على الصعيد العالمي .

نهل كثير من الناهلين من نمير الأستاذ علي الطنطاوي ، واستنشقوا عبيره ، وملأوا عيبتهم من دُرره ولآلئه ، لكن قلما يوجد رجال حاكوا أسلوبه مائة في المائة ، ونسجوا على منواله ، ومشوا على أسلوب كتابته ، وإذا قلنا لسنا مبالغين : إن الأستاذ السيد جعفر مسعود الندوي قد أصاب المحز في هذا المجال ، فإنه حينما يكتب المقالات والدراسات باللغة العربية يمشي على مشوار الطنطاوي ، فيسحر بطريقة كتابته ، ومنهج أسلوبه قلوب الناس ، فكما أن أسلوب الطنطاوي يتسم بالعلم والأدب ، وجمال العبارة ، ورصانة الفكرة ، كذلك تتصف كتابات الأستاذ جعفر مسعود الندوي برشاقة الكلمات وغزارة المعلومات ، إنه لا يجمِّل عباراته بالكلمات الفارغة ، ولا ينمِّق مقالاته بالمفردات الزائدة ، بل يأتي بالألفاظ حسب المعاني والمفاهيم ، وإذا كانت الحاجة بالتركيز على شيئ ما ، فإنه يدعمه بالكلمات القوية ، والتعبيرات الهادفة ، وقد أيد هذه الفكرة مقدِّم الكتاب الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي : " أرجو أن هذا الكتاب المشتمل على كلمات علمية وأدبية شائقة بأسلوب جميل مؤثر سائغ ، مفيداً ومعيناً في تعلم الكتابة باللغة العربية ، وطريقة عرض الأفكار والآراء والمشاعر والعواطف ، والتعليق على الحوادث والأنباء ، والتعبير عما يشاهده في مجتمعه من قضايا ومشاكل ، أو ما يقع حوله من أحداث وأزمات " (المقدمة : ٥) .

وغرس طاب غارسه فطابا :

تربى الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي تحت إشراف والده العظيم الأديب العبقري ، المفكر الألمعي ، الكاتب اللوذعي ،

الصحافي المحلِّل الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، فنشأ على خلال طيبة من الإخلاص والعمل الصالح ، وكان مصداقاً للمثل العربي : الولد سر لأبيه ، فكان يتميز بالبساطة في المعيشة ، والسذاجة في الحياة ، وكان يلقى كل صغير وكبير بأريحية وانشراح قلب ، لا يحسد ، ولا يكمن في قلبه غلاً لأحد ، نقي الصدر ، طاهر الفؤاد ، وكان يضع في قلبه احتراماً وعظمةً لأساتذته ومن يفوقه في العمر ، وكان كثير الإنفاق على الفقراء والمساكين واليتامى والثكالى والملهوفين .

أما دراسته العربية فقد كسب من والده مباشرةً ، وكان يهتم بتربيته وتثقيفه ، فقد بدأ كتابته العربية منذ دراسته في دار العلوم لندوة العلماء ، وكانت تنشر كتاباته في صحيفة الرائد النصف الشهرية ، فقد غرست في ذهنه بذور الكتابة العربية ، ثم حالفه التوفيق الإلهي لتعريب عدد من كتب التراجم والسير أمثال سيرة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الذي ألفه الإمام الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي باللغة الأردية ، وسيرة الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي للشيخ محمد الثاني الحسني ، وهما كتابان ضخمان ، قام الأستاذ السيد جعفر مسعود الندوي بنقلهما إلى العربية ، وكذلك ترجم مجلداً واحداً من (كاروان زندكي للإمام الندوي) إلى العربية باسم : في مسيرة الحياة ، وطبعت هذه الكتب من المكتبات في العالم العربي ، كما ترجم من العربية إلى الأردية مؤلفاً للإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وهو مطبوع باسم : أضواء على الحركات الدينية والمؤسسات التربوية في الهند ، وطبعت ترجمته باسم : بصائر .

هذا ، وقد كتب الأستاذ الأديب السيد جعفر مسعود الندوي كلمات الناشر على عدد من منشورات دار الرشيد ، بلكناؤ ، وهي بالعربية الفصحى ، فليست هذا الكلمات عابرة أو عفوية ومرورية ، بل كتبت بروح من الإخلاص ، فإنها مدخل الكتاب أو مفتاح الباب ، أو سلَّم البيت الذي يذهب بالإنسان إلى أعلى مكانه ، فعلى سبيل المثال : كلماته على كتاب : صور وأوضاع ، والغزو الفكر ي ، ومصادر الأدب العربي ، وأعلام الأدب العربي في العصر الحديث تقدِّم نماذج رائعة لكتابة تقديمات للكتب ، وتعرض أساليب جميلة للتعريف بالموضوعات

الرئيسية ، يتناول الأستاذ السيد جعفر مسعود الندوي في هذه الكلمات النواحي البارزة للكتاب ، ويركز عليها بادئ ذي بدء قراءةً وإمعاناً ، ودراسةً وتعمقاً ، ثم يكتبها ويلخصها في كلمات وجيزة ، تنحصر فيها أسسها وركائزها ، فإذا اكتفى قراء الكتاب بقراءة هذا التقديم أغناهم عن قراءة الكتاب بكامله ، وأصبحوا مفعمين بفحوى الكتاب ، ومغزاه ، ومطلعين على دقائقه وأسراره ، ولا شك أن هذا العمل لا ينجزه إلا من اطلع على كل جانب من جوانب الكتاب ، وكان الكتاب أمامه في ورقة مفتوحة يقرؤه من حيث شاء وأراد .

تعريف بكتاب : أخي العزيز :

هذا الكتاب هو مجموعة مقالات وكتابات وجيزة نُشرت في صحيفة الرائد خلال ستة عشر عاماً من سنة ٢٠٠٣م إلى ٢٠١٨م ، وذلك تحت عمود " ركن الأطفال " ، وقد بدئ هذا العمود عام ثلاثة وألفين الميلادي برعاية كريمة من رئيس تحرير صحيفة الرائد آنذاك الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، فإنه كان حريصاً على أن يتعلم طلاب المدارس العربية اللغة العربية كاللغات الأم ، ولا يمكن تعلمها فقط بالمجلات العلمية والأدبية ، ولا شك أن المجلات العلمية والأدبية صدرت في القرن العشرين الميلادي في عدد وجيه ، ولا تزال تصدر الآن كذلك ، لكن لم توجد صحيفة تركز على تعلم اللغة العربية للناشئين في الهند ، إلا صحيفة الرائد ، فإنها منذ أول يومها فتحت أبوابها لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، وفي بداية القرن الحادي والعشرين حينما بدأت هذه الصحيفة ركن الأطفال فكان ذلك خطوة مباركة ، ومشروعاً ميموناً غير مسبوق في تاريخ الهند العربي ، يقول مؤلف الكتاب في كلمته عن هذا الواقع :

" إن هذا الكتاب الذي بين يديك – أيها الأخ – يحتوي على ما يسَّر الله لي من الكتابة في ركن الأطفال الذي بدأته صحيفة الرائد في صفحاتها بأمر من رئيس تحريرها ، فبدأ بعنوان بأخي العزيز (من العدد الخامس ، السنة الخامسة والأربعين ، أول سبتمبر ٢٠٠٣م) لإخوتنا الطلبة الدارسين في دار العلوم وفروعها المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد ، فأرغمتني هذه المسئولية الملقاة على عاتقي على الكتابة " (كلمة المؤلف : ١٢) .

يحتوي الكتاب على خمس مائة واثنتين وثلاثين صفحة ، وهو في مجلد واحد من القطع المتوسط ، يبتدئ الكتاب من عنوان : العظمة الحقيقية ، وينتهي على عنوان : ميزة الإنسان ، وقد قدم له الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي وأبدى تقديره وإعجابه لهذا الكتاب ، كما قرَّظ هذا الجهد الأدبي سعادة أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي ، ومدير دار العلوم لندوة العلماء) بكلمات مشجعة للعزائم والطموحات ، واعتبر الكتاب معلَّم العربية ومفتاحاً لأبوابها مع ما ينال به قراء الكتاب من الإيمان والتقوى .

ميزات وخصائص للكتاب :

أما ميزات الكتاب فهي على ما يأتي : (١) الكتابة الرشيقة والجمال الفني (٢) تنوع الموضوعات (٣) التحليل والتدقيق (٤) الجانب التربوي والإصلاحي (٥) الإيجاز غير المخل .

(١) الكتابة الرشيقة والجمال الفني : هذه الميزة متوافرة في هذا الكتاب مائةً في المائة ، ومعلوم أن العلم هو بيان الحقائق ، وسرد المعلومات ، والفن هو الاعتناء بجانب الشعور والوجدان في الكلام ، فمجرد العلم يكون جافاً ويابساً ، مثل علم الحساب ، وعلم الجغرافية ، وعلم الهندسة ، وغيره ، لكن الفن يجعل العلم جميلاً وقوياً ، والفن له علاقة بالعاطفة والخيال ، وكلما كان هذان العنصران مؤثرين في الكلام كانت العبارة رشيقةً وأنيقةً ، ومما يتميز به الكتاب هو أسلوبه الرائع ، فأحياناً يكتب المؤلف المقالة بلفت الأنظار إلى الماضي المشرق ، والتراث التليد ، ويكثر من استعمال التعبيرات المرادفة ، والجمل الرائعة الداعمة للفكرة الأساسية للمقال ، مثلاً يقول : " شهد العالم كثيراً من العظماء الذين ذاع صيتهم ، وعمت شهرتهم في مجال من مجالات الحياة المختلفة ، لأن العظمة ليس لها مقياسٍ خاص ، وليس لها مجال معين أو إطار محدد ، فقد يكون العظيم عالماً ، وقد يكون لاعباً ، وقد يكون فاتحاً ، وقد يكون مخترعاً ، وقد يكون مدرساً ، وقد يكون مربياً روحياً ، أو زعيماً سياسياً ، لكن هؤلاء العظماء ينتهي دورهم ، وتنطمس آثارهم عند ما يدركهم الأجل ، لأنهم لا يعيشون إلا لأنفسهم ، ولا يسعون إلا إلى تعزيز مصالحهم ، وتحقيق مآربهم ، لكن العظماء الذين تخلد أسماؤهم ، وتدوم مآثرهم وأمجادهم ، ولا يحول الموت بينهم وبين

المعجبين بهم هم الذين يعيشون لغيرهم ويبذلون حياتهم ومالهم وراحتهم في خدمة المجتمع البشري " (ص : ١٥) ، ومما يزيد الكتابة الرشيقة رونقاً وبهاءً أنه يستعمل الأبيات خلال كلماته ، وهي موافقة تماماً لعناوين المقالات ، مثلاً ينقل بيتاً في مقال له : بين صديق وصديق :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب (ص : ٣٢) .

وينقل في مقال عنونه : كسب المحبة :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربه

(٢) تنوع الموضوعات : لم يذكر مؤلف الكتاب في هذا الكتاب موضوعاً واحداً ، بل تناول جميع الموضوعات من الإيمان والعبادة ، والأخلاق والمعاشرة والسلوك ، وإصلاح النفس وتربية الناس ، ومشكلة الشباب والمناسبات الإسلامية ، والشرق والغرب ، هكذا استوعب جوانب كاملة للحياة الإنسانية في كتابه ، فتيسرت الدراسة والمطالعة لكل من يشغف بأي موضوع من الموضوعات ، فأحياناً يتحدث عن قصص القرآن الكريم ، والتوبة تغسل الحوبة ، وأحياناً يتحدث عن سر تقدم أوربا ، ولماذا تخلف المسلمون ؟ وحضارة مسيحية ، وشعب مطرود استولى على العالم ، وساعة مع العارفين ، وعصر التناقضات ، وهل الإسلام خطر على أوربا ؟ وغيرها من الموضوعات المهمة .

(٣) التحليل الدقيق : لم يقصر المؤلف كتاباته على سرد القصص والأحداث ، بل تناول خبراً أو نبأً أو قصةً طريفةً ثم قام بتحليلها ، واستنتاج نتائج ذات عبرة ونصيحة ، فهناك عنوان في الكتاب : ميثاق حقوق الإنسان بين الدعاية والواقع ، ذكر المؤلف ضمن هذا الموضوع الأكاذيب والافتراءات التي أثيرت نحو حقوق الإنسان ، فإنه فند هذه الدعاية الكاذبة " أن إعلان حقوق الإنسان يرجع إلى الثورة الفرنسية ، وميثاق الأمم المتحدة هو تطوير لهذا الإعلام الرسمي ، وأثبت الواقع في ضوء الحقائق والأرقام أن الإسلام هو أعلن حقوق الإنسان قبل أن يخطر لفرنسا بعض هذه الحقوق وقبل أن يفكر بها القائمون على هيئة الأمم المتحدة بنحو ثلاثة عشر قرناً ، ولم يعلنها الإنسان لشعب دون شعب ، ولا لأمة دون أمة ، وإنما أعلنها للناس جميعاً ، وأوجبها على كل من اعتنقه

ودخل في حظيرته " (ص : ١٥٤) .

(٤) الجانب التربوي : ركز المؤلف في هذا الكتاب جل عنايته على الجانب التربوي والإصلاحي ، فإنه خاطب في هذه الكلمات أولاً الجيل الجديد ، وهو بأمسٍ حاجة إلى هذه الدروس والتوجيهات ، فإن المؤلف كتب مقالات عديدةً حول أمثال هذه الموضوعات : الجانب الخلقي للإسلام ، وحق المسلم على المسلم ، وصلاة الفجر ، وأمراض القلب ، والحياة السعيدة ، والمداومة والرفق ، وحب الدنيا وكراهية الموت ، والقلب واللسان ، ثم يسترعي انتباهات الشباب إلى موضوعاتهم ومشكلاتهم : مرحلة الشباب ، ومشكلة الشباب ، وظاهرة الفساد في الشباب ، والعبقرية لا تورث ، والصمت أجمل بالفتى ، وكيف يتحقق حلمك ؟ وسر الانتصار والغلبة ، فإنه قام برفع مستوى الأجيال الناشئة والشباب المسلم إلى أعلى ما يمكن ، ويقول في مقال له : " من مشكلات الشباب هو تحديد الهدف وملء الفراغ ، فلا بد لنا أيها الأخ وخاصةً في هذه الفترة الزمنية التي نمر بها اليوم أن نحدد الهدف ، ثم نسعى لتحقيقها ونملأ الفراغ بشغل أنفسنا بما يجدينا في الدنيا والآخرة ، لكي لا نقع في حبائل ، نصبها لنا الشياطين من الجن والإنس ، ولا تضيع قدراتنا في التردد إلى هنا وهناك " (ص : ٤٦٩) .

(٥) الإيجاز غير المخل : كل مقال من مقالات هذا الكتاب يحتوي على صفحتين أو ثلاث صفحات ، فهو يوافق نفسية الأطفال والشباب الذين يتمنون أن يستفيدوا من هذا الكتاب في هذا العصر المكدس بكثرة الأعمال ، فهذا الإيجاز الذي اختاره صاحبه في هذا الكتاب لا يخل بالموضوع ، بل يغطي أطراف الموضوع ، ويتناول كل جانب من جوانبه اللائقة به .

الواقع أن هذا الكتاب ينوب عن كتب ومكتبات ، فكل من يريد أن يطلع في لمحة واحدة على أصول وقواعد للإيمان والعمل الصالح ، وتوصيات وتوجيهات للحياة السعيدة ، وآداب وطرق للمطالعة الهادفة ، والكتابة المنهجية ، وأساليب حديثة لتعلم العربية والتمرن على الكتابة العربية ، فعليه أن يقرأ هذا الكتاب بإمعان وإتقان ، فهو خزينة دراسات ، وثروة تعبيرات رائعة وأفكار إيجابية واتجاهات سلمية من الزيغ والضلال .

عن جعفر بن " رشيدٍ " أطيب الخبر

د . محمد أعظم الندوي*

كانت مُساءلَةُ الرُّكبان تُخبرُنَا عن جعفر بن فلاح أطيبَ الخبرِ
ثمّ التقينا فلا واللّهِ ما سمعتْ أُذني بأحسنَ ممّا قد رأى بصريَ

بهذه الأبيات الخالدة وصف ابن هانئ الأندلسي رجلاً من أعلام زمانه ، ولا أجد أبلغ منها تعبيراً عن علاقتي بالأستاذ الفقيد الشيخ جعفر مسعود بن واضح رشيد الحسني الندوي ، رحمه الله ، فما عرفته عن كتب ولا عن كثب ، حتى إذا التقيت به إبّان دراستي في مدرسة ضياء العلوم بمدينة رائي بريلي في أواخر التسعينيات من القرن المنصرم ، أدركت أن الشيخ كان أعظم مما سمعت عنه ، وأن هذا الرجل الذي تحدث عنه الركبان كان في الحقيقةٍ أرفع مما ذكر فيه .

كيف يُرثى عالمٌ كانٍ امتداداً لجيلٍ من العظماء ، يحمل في روحه عبير تراثهم ، وفي عقله قبساً من نورهم ؟ الشيخ جعفر مسعود بن واضح رشيد الحسني الندوي ، رحمه الله ، لم يكن مجرد عالمٍ عادي ، بل كان صفحةً من صفحات المجد ، تُطوى اليوم ليبقى أثرها خالداً في تاريخ أسرة السادات الحسنية القطبية التي وصفها أحد أعلامها العلامة عبد الحي الحسني بآل هاشم ، فقد كوّن هيئة باسم " جمعية آل هاشم " العائلية لإصلاح ذات البين بين عشيرته ، وإخراجهم من نطاق الخلافات الصغيرة إلى الأهداف المشتركة العالية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وُلد الشيخ جعفر في أواخر الستينياتٍ من القرن العشرين الميلادي ، وقد استهلّ في بيتٍ تتنفس فيه الجدران علماً وتقوى ، كان والده الشيخ محمد واضح رشيد الحسني ، أحد أعلام ندوة العلماء ، وعمّه وأبو حرمته ، الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيسها السابق ، وكان الشيخان شقيقين متحابّين ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر إلا نادراً ، وكأنهما كقلبين ينبضان بمشاعر واحدة ، وعينين في وجهٍ واحد ، يرى بهما الجمال والخير ، ويساند أحدهما الآخر في السرّاء والضرّاء ، وكأنهما كالكتاب المفتوح ، يقرأ أحدهما صفحات الآخر بلا حروف ، يقف الزمن إجلالاً

* أستاذ المعهد العالي الإسلامي بحيدر آباد (الهند) .

لمكانتهما السامية في الأعين والقلوب ، أما جدّ الشيخ جعفر وخال أبيه وأستاذه ومربيه ، فهو العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، إمام الدعوة والفكر ، ذلك الجبل الشامخ الذي لا يُذكر العلم إلا وذكراه في أعلاه .

نشأ الشيخ جعفر في هذا البيت الذي اجتمعت فيه أنوار العلم وأصالة الدعوة ، حفظ القرآن الكريم صغيراً ، وكأن حروفه نسجت خيوطاً من النور في قلبه ، وقد صليت ركعات التراويح مؤتمّاً بجعفر الإمام في مسجد " دارة الشاه علم الله " ، وكان يتلو كتاب الله بصوت شجيّ ورخيم ، يلامس القلوب ويأسر الأرواح .

درس في دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، حيث أتم شهادة العالمية عام ١٩٨١م ، والفضيلة عام ١٩٨٣م ، لكنه لم يكن ممن يقتنع في العلم باليسير ويستغني في الخير عن الكثير ، فواصل مسيرته ليحصل على درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة لكناؤ عام ١٩٨٦م ، ثم شارك في دورة تدريبية بجامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية عام ١٩٩٠م ، ليُضيف إلى علمه بُعداً عصرياً ومهاراتٍ ناعمةً عززت قدرته على التواصل وحلّ المشكلات ، واتخاذ القرارات ، مما أثر إيجابياً على رحلته العلمية والعملية .

كان الشيخ جعفر ، كما قالت العرب : " كالمزن حيثما سار نفع " ، بدأ حياته العملية كمدرس للحديث النبوي والأدب العربي في المدرسة العالية العرفانية التابعة لندوة العلماء ، حيث كان يزرع في طلابه حبّ العلم والتفوق ، ويزوّدهم بالعلم والأدب والتربية الإسلامية سنين طوالاً من حياته ، ثم تولى رئاسة تحرير صحيفة " الرائد " عام ٢٠١٩م ، فقادها بخبرة وحكمة إلى آفاق جديدة برفقة من نخبة من أساتذة دار العلوم ندوة العلماء ، الشباب الكتّاب المبدعين ، حيث ظلّت صفحاتها منبراً للفكر الأصيل وقضايا الأمة الملحّة ، وسيلة لتربية النشء الجديد على كتابة اللغة العربية الفصحى ، مزج فيها بين عمق الطرح وروعة الأسلوب ، لتبقى " الرائد " كدأبها نموذجاً رائداً للصحافة الإسلامية الرصينة .

وفي عام ٢٠٢٣م ، شغل منصب الأمين العام لندوة العلماء والمجمع الإسلامي العلمي التابع لندوة العلماء ، فكان حضورُه إضافة نوعية للندوة ، عمل جنباً إلى جنب مع فضيلة الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء ، لتطوير مسيرتها العلمية والفكرية ، معززاً دورها في خدمة العلم والدعوة بروح متجددة ورؤية واضحة .

كما تقلد منصب رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في شبه القارة الهندية ، حيث سعى إلى إبراز القيم الإسلامية من خلال الأدب ، جاعلاً منه وسيلة للتعبير عن المبادئ السامية ، دون أن يتخلى عن عمق الرؤية وجمال الأداء في كل موقع شغله ، أثبت كفاءة قيادية وحرصاً على الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، والتراث والحداثة ، مما جعله شخصية محورية في ميادين العلم والفكر والأدب .

بدأ مسيرته الأدبية بالكتابة للأطفال ، حيث صاغ حكايات بسيطة تحمل في طياتها معاني عميقة ، تخاطب عقولهم الصغيرة ببراءة ووداعة ، ثم انتقل إلى الكتابة للكبار ، فكانت كلماته أكثر عمقاً واتزاناً ، تعالج قضايا الفكر والواقع بأسلوب يزاوج بين البيان والبديهة . ومع مرور الوقت ، تدرّج في مسيرته حتى تولى كتابة افتتاحيات " الرائد " ، فأتقن فنّ الخطاب الصحفي بأسلوبٍ مختلف ، يجمع بين الحكمة والرصانة .

في كل مرحلة ، كان أديباً أريباً ، يختار كلماته بعناية ، ويضعها في مواضعها كالجواهر ، ولبيباً يعرف كيف يخاطب كل فئة بما يناسبها ، ليبقى أدبه حياً نابضاً في قلوب قرّائه على اختلاف أعمارهم واهتماماتهم .

أما في مجال الترجمة ، فقد أبدع الشيخ في نقل النصوص من الأردية إلى العربية ، محافظاً على روحها ومضمونها ، مع إضفاء لمسة أدبية تبرز جمال المعاني ، من أبرز أعماله المترجمة : " في مسيرة الحياة " ، ترجمة لكتاب " كاروان زندگی " السيرة الذاتية للشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، و " الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي : حياته ومنهجه في الدعوة " للشيخ محمد الثاني الحسني ، و " الإمام المحدث محمد زكريا الكاندهلوي ومآثره العلمية " للشيخ أبي الحسن الندوي ، جاءت هذه الترجمات بأسلوب متين ودقيق ، يظهر فهمه العميق للنصوص وروحه العلمية المخلصة .

لم يخطر في البال أن يأتي يوم بهذه السرعة نخطّ فيه كلمات العزاء لرجل كان حياً بيننا ، كأنه شعلة مضيئة لا تنطفئ ، لقيناه في جي فور في شهر نوفمبر عام ٢٠٢٤م ، ثم في نفس الشهر في الندوة الفقهية بندوة العلماء لكناؤ ، وقد تكلمت معه في إعادة طبع نسخة إنجليزية من تفسير الشيخ عبد الماجد الدريابادي بحلّة قشيبة معاصرة ، إذ نحن في تخطيط لذلك مع بعض زملائنا ومعارفنا المثقفين من مدينة حيدرآباد ، فوافقني على ذلك ، وقبل ذلك بكثير ، كنت أودّ أن أستكتب مقدمة كتابي حول الدكتور محمد أكرم الندوي الذي أكملته كأطروحة للماجستير في

الفلسفة من القسم العربي بجامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية ، بواسطة أخي النبيل أمين بن جعفر الحسني ، فكتب الشيخ مقدمة قوية ، ولكن للأسف لم يوفق لي ترتيب تلك الأطروحة ككتاب ، ولم تر النور بعد .

كان الأستاذ جعفر طيب المعشر ، رقيق المشاعر ، متناسق البنية ، رشيق القوام ، عذب اللسان ، صادق اللهجة ، نقي السريرة ، وقور الخطى ، كثير العطاء ، شعاعاً هادئاً يلامس القلوب بلطف ويترك أثراً لا يمحى من الذاكرة .

لكن الموت لا يُمهل ، وفي لحظة كلمح البصر أو هو أقرب ، وفي حادث سير مروّع انتقل إلى رحمة الله تعالى ، صدمته سيارة مسرعة يقودها سائق ثمل نشوان ، وشابّ طائش أهوج ، كان رحيله أشبه باقتلاع شجرةٍ وارفة الظلال ، لا يُدرك الناس قيمة ظلّها إلا حين تغيب عنهم .

ومع عظم الفاجعة ، وفداحة المصاب ، نؤمن بحكمة الله في أقداره ، ولعل هذا الرحيل شهادة اصطفاه الله لها ، كما قال سبحانه : (وَيَتَّخِذَ منكُمْ شُهَدَاءَ) . لا ندري أين تكمن المصلحة ، لكننا نوقن أن الله أكرمَه بما لا نعلم ، ورفعه إلى منزلة لا يصل إليها إلا من اصطفاهم برحمته وفضله ، ليبقى ذكره حياً وأثره خالداً في القلوب :

كَأَنَّ عَيني لِذِكراهُ إذا خَطَرَت فيضٌ يَسيلُ عَلى الخَدَّينِ مِدرارُ

برحيله ، فقدتَ الأسرة الحسنية ركناً شامخاً ، والعائلةَ الندوية علماً راسخاً ، وندوة العلماء رمزاً فكرياً ، والأمة نجماً أضاء دروبها ، جمع بين إرث الأسرة ، وعمق العائلة ، وفكر الندوة ، تاركاً فراغاً لا يُسدّ وأثراً لا يُنسى .

بقلبٍ يعتصره الألم ، ودموعٍ لا تنفكّ تسيل ، نتقدم بأصدق التعازي إلى أبناء الفقيد الغالي ، إخوتي الأصفياء خليل ، وأمين ، وعبد الحي الحسنيين الندويين ، وغيرهم من أعضاء الأسرة الحسنية الكريمة ، وعلى رأسهم قدوتي وأستاذي فضيلة الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي ، نعزّي كل من عرفه وأحبّه ، ونعزي الأمة التي فقدت رجلاً لا يُعوّض بسهولة :

في ذِمّةِ اللّهِ ما ألقى وما أجِدُ أهذِهِ صَخرةٌ أمْ هذِهِ كبِدُ

قد يقتُلُ الحزنُ مَنْ أحبابهُ بَعُدوا عنه فكيفَ بمنْ أحبابُهُ فُقِدوا

نسأل الله أن يغفر له ، ويرفع درجته في عليين ، ويجعل قبره روضةً من رياض الجنة ، ويلهمنا الصبر على غيابه .

وما فقدَ الماضونَ مثلَ محمّدٍ ولا مِثلَهُ حتى القيامةِ يُفقدُ

إنا لله وإنا إليه راجعون .

الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي ورحلته إلى سلطنة عمان

بقلم : الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي *

كنا نسمع دائماً منذ زمن بعيد عن الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي وأخلاقه العالية وشمائله الحلوة ، وروحه الإنسانية الدافقة بحب الآخرين على اختلاف ألوانهم وأقدارهم ومعايشهم ، وسيرته العطرية المليئة بالإيمان بقيم الإخاء والعدالة والمساواة ، وكما كنا نسمع أن السيد الندوي يمضي في طريقه العلمي بخطوات ثابتة وأقدام راسخة وهدف واضح ، كأنه على يقين لتحقيق مشروعه العلمي من إنتاجات علمية راقية ، ومناهج مبتكرة ، وفي الآونة الأخيرة لمع اسمه في سماء ندوة العلماء كأحد فرسانها الذين كانوا أقماراً مضيئة ، وشموساً ساطعة في سماء ندوة العلماء ، وكان لهم دور فعال في نهضة المجتمع الهندي وإخراجه من كبوته وخموله ، عبر كتاباتهم الفكرية العميقة وأفكارهم النيرة ، وقد تركوا إرثاً فكرياً وعلمياً في مجال الثقافة الإسلامية إفادةً للفكر الإسلامي .

هذا : وقد نمت الأنباء في شهر سبتمبر المنصرم ٢٠٢٤م وتتواتر الأخبار عن قدومه إلى سلطنة عمان لزيارة مكتباتها ومساجدها وكلياتها وجامعاتها ، ولقاء مشايخها وعلمائها ، فشدَّنا الحنين إلى رؤيته ولقائه ، والجلوس معه ، وقضاء بضعة أيام في صحبته الصالحة ، وقد جاء الأستاذ المحترم في الثلث الأخير من شهر سبتمبر ، وبالتحديد ٢٠ في الشهر التاسع ٢٠٢٤م ، وأقيمت له المجالس العلمية ، والجلسات الثقافية والمحافل الفكرية ، وطرحت فيها مشكلات الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم في شبه القارة الهندية ، ونوقشت العديد من القضايا المعاصرة سعياً للعمل على حلها ومعالجتها ، وكانت موضوعات هذه المجالس العلمية والليلية متنوعة وخصبة في قضايا متعددة تغطي قضايا الأمة الإسلامية المختلفة ، وكان

* مسقط ، عمان .

للأستاذ مشاركات فعالة وآراء سديدة ونظرات ثاقبة في كل جلسة من الجلسات العلمية مع الاتصاف بالذكاء والحنكة وسرعة البديهة ، كما كان له اهتمام واضح بقضايا المسلمين في الهند ، وميزة هذه الجلسات الممتعة المؤنسة والحوارات الفكرية العميقة والأسئلة العويصة الشائكة أنها تبرز شخصية الأستاذ المحترم لدى أولئك الذين لم يلتقوا به من قبل ، ولم يجلسوا معه قليلاً ولا كثيراً ، فوجدنا فيها السيد الندوي الإنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني المودة والرحمة والألفة والتعاطف البشري والمشاركة الوجدانية والأحاسيس الرقيقة ولين الجانب ، والتواضع مع الآخرين ، وحب الناس ، والدفء الاجتماعي ، وكلها معان إنسانية نبيلة وجدناها في سيرته الشخصية ، وكان في الحوار بعيداً عن لغة التعالي ، ومفردات الزهو ، ونبرة العنجهية ، ومنطق القوة وأسلوب التهديد والوعيد ، بل كان أسلوبه دائماً أفضل ، ولهجته أرأف ، ولغته ألين وألطف ، وكان يستمد مفرداته من قاموس التحضر ، واحترام الرأي الآخر ، والاستماع لوجهة نظر الآخرين .

وعلى كل حال ، لم نجد من شخصية السيد الندوي إثبات الذات دائماً ، وتهميش الطرف الآخر ، أو التقليل من جهودهم ، كأنه هو المركز والباقي أطراف ، هو المبتدأ وغيره الخبر ، هو موضوع القضية وغيره محمولها ، هو في الصف الأول وغيره في الصفوف الخلفية ، وأخيراً هو الحركة والنبض والنشاط ، وغيره الخمود والهمود والسكون ، كلا لم نجد فيه هذا وذاك ، ونستنتج مما سبق أنه كان صافي النفس كماء النبع ، لين الجانب كقطن الديباج ، محباً للآخرين كحب الصوفية الأتقياء ، فأبصرنا فيه نور المعرفة ، وفيض المحبة ، وإشراق الصفاء وبالجملة معالم الإنسان الكامل .

فهذا الأستاذ السيد الندوي الذي كنا نحبه ونحترمه ، بل وأكثر من ذلك كنا نجله ونعتز ، وينتابنا شعور بالجلال والجمال حينما نفكر في بعض جلساته العلمية ونتأمل في أفكارها .

وكان للسيد الندوي علاقات وصداقات واسعة طيبة مع كثير من الأشخاص والرجال الكبار المعنيين بالعلم والمعرفة من المسلمين وغيرهم من بلاد الشرق ، وكلها قائمة على أسس من التعاون العلمي والاجتماعي والتآلف الإنساني والمودة الكاملة والأخوة الإنسانية ، هذا من جهة . ومن

جهة ثانية أن السيد الندوي كان مثل النجم الذي تدور حوله الكواكب ، والمعلم الذي يلتف حوله تلاميذه المخلصون ، والمدهش أن كل مريديه وتلاميذه وأصدقائه كانوا يشهدون أنهم مقربون له ، وأنهم جميعاً بلا استثناء يدينون بالولاء والمحبة لهذا الشيخ الجليل ، وأنهم كانوا ينتهزون كل مناسبة من المناسبات العلمية لإعلان هذا الحب والولاء والاعتراف بالجميل ، والهتاف به على رؤوس الأشهاد ، ولا شك أن كل من يقرأ شهادات هؤلاء التلاميذ والمحبين الذين أظهروها عبر التواصل الاجتماعي بعد وفاته سوف يأخذه العجب من هذه العاطفة الجياشة تجاه أستاذهم ، وهذا الشعور الغامر الذي ملأ قلوبهم حباً واحتراماً لأستاذهم .

ومن الواضح أنه كان محباً لعلمه مغرماً به ، يتفانى في أدائه ويبتكر في عناصره ، ويثير الحياة والنشاط في العمل الذي يسند إليه ، وقد أهداني في هذه الرحلة المباركة كتابه " أخي العزيز " الصادر قريباً ، وكتابه هذا بلغة محترمة راقية ، وأسلوب علمي ، إذ كان يتخير الألفاظ الرصينة التي تحمل مضموناً أخلاقياً ، وتحمل في جوفها علاقات اجتماعية سامية ، وتعمل على صون المحبة بين المجتمع ، وتقيم أواصر التواصل ، وجسر التفاهم بين التلميذ والأستاذ ، والمتعلم والمعلم ، والقارئ والمقروء والدارس والمدروس ، إذ لا تعارض بين منطوق النقل الصريح ، وصريح العقل السليم ، وتحافظ دوماً على مسافة الاحترام ، وعلائق المودة ، ومبادئ التفاهم التي يجب أن تكون قائمة بين التلميذ والأستاذ ، والمريد والشيخ ، وتوقظ الروح النائمة ، وتشحذ العزيمة الخامدة ، وتبعث الإقدام في النفوس ، وتتفق مع روح الشباب المتعلمين وطموحه في الحياة .

والدارس لكتاب الأستاذ المحترم يلمس أنه صاغ قضايا الطلاب العلمية بأسلوب عربي فصيح ، ولغة سليمة وتعبير بليغ يجذب النفس ، ويستهوي العقل ، ويحرضه على الوقوف أمامها والتفكير فيها ، ويرى الدرر الكامن في أعماقها ، والكتاب يستحق الإشادة والقراءة والدراسة من طلاب اللغة العربية في المدارس الإسلامية الهندية ، والتأملَ في أسلوبه العربي المبين ، ومفرداته اللغوية الفصيحة ، واغترافه من نبع العربية الصافي ، ولا داعي للجري وراء الألفاظ المنحوتة من اللغات الأجنبية ، والمفردات الغريبة التي هبطت علينا بسبب الترجمة الخاطئة ، والاستفادةَ منه حتى نعيد الهيبة إلى لغتنا العربية المظلومة من جهل أبنائها ، وكيد أعدائها ، ونعيدها للصدارة في شؤون حياتنا اليومية والدينية والفكرية .

مكث معنا أربعة أيام ، ثم سافر بالسيارة من عمان إلى دبي ، ورأى من المناظر الجميلة والبحار والأودية التي تكسوها الخضرة والجبال ، ما أسعد نفسه ، وأثلج صدره ، وملأه راحةً وطمأنينةً ، وقرر في نفسه زيارة أهم معالمها بطريقة منظمة ، بحيث يركز على المدن الهامة المحببة إلى نفسه ، وكذلك البحيرات الساحرة ، وكان من أهم المدن التي زارها في هذه الرحلة العلمية مسقط وصحار وعبري وغيرها من المدن الإسلامية المليئة بالعادات العربية الأصيلة والثقافات العربية القديمة ، والحقيقة أن الرحلة تمثل نقلة نوعية للباحث الطلعة ، وتزيد من خبراته ، وتساعد على تقدمه في المعرفة والفهم والإدراك ، ونافذة رحبة لرؤية العالم الخارجي بكل تموجاته ، وقد أشار كثير من المفكرين إلى أهمية الرحلة في إثراء البعد المعرفي ، وما زال الناس يعرفون للأسفار فائدتها في تكميل المعارف وتزكية الفكر ، فهذه اللقاءات الفكرية والرحلات الممتعة قد زودته بطاقة فكرية هائلة ، ومثلت رافداً ثرياً من روافد المعرفة الإنسانية ، ومصدراً غزيراً للفكر العربي الإسلامي نهل منه ما وسعته طاقته .

فإذا بنا في مساء يوم الأربعاء ١٦ يناير ٢٠٢٥م تلقينا ببالغ الحزن والآسى خبر وفاة السيد الندوي ، وما كنا نريد أن نعترف بهذا الواقع المرير الذي ذقنا منه طعم الحنظل في الحلوق ، وحد السكين الذي ينغرس في القلب النابض مباشرة ، فيزهق الروح ويترك الجسم ما بين الحياة والموت .

رحم الله أستاذنا السيد الندوي رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وتجاوز عن سيئاته ، وأسكنه فسيح جناته ، لما قدمه للأمة الإسلامية من جهود مثمرة ، وأفكار نيرة ، وإنتاج علمي راق ، وما بذله للفكر الإسلامي والإنساني من خدمات تجل عن الوصف ، ومنافع عمت الشرق والغرب ، وأصبح اسمه دليلاً على الجد والمثابرة والعظمة والتحدي والمجد والخلود ، وملأ القلوب بالعلم والإيمان والعرفان ، لقد أمضى حياة خصبة يستفيد منها كل من يريد أن يبحث عن نموذج للطموح ، ويبغي الوصول إلى القمة العالية السامقة ، من العلم والفكر والأخلاق ، وتجارب حية تحدت الإرادة الإنسانية ، وكادت أن تعد ضمن الأفعال الخارقة التي تفوق الطاقة البشرية والملكات الإنسانية ، وهو الذي يستحق أن نقول عنه :

وما كان " سيدي " هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ولله الأمر من قبل ومن بعد ، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

دموع أسى الفراق على نجل الأستاذ العملاق

بقلم : الأستاذ محمد أرشد عبد الغفور الندوي *

أَبْكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي [1] عَلَى الأَرِيبِ الْكَاتِبِ الأَلْمَعِي
جَرَى عَصِيُّ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ فَزَادَ فِي الْجُودِ عَلَى الطَّيِّعِ

حزن يفجع القلوب ، ويعمق الجراح في سويدائها ، وغم يكسر أعمدة الأنس ، وصخور الثقة على شاطئ الآمال ، وجوى يحرق الأكباد للأمجاد ، ويكدر صفوة المنى ، ويقطع العروة الوثقى للشعور بالأمان ، ويعصف بالمشاعر والوجدان في طوفان الأسى والأشجان ، ونبأ عظيم يسلب العقول ميزانها ، ويقفدها توازنها ، ونعي مفاجئ يفجر العيون أنهاراً من الدموع الغزار الحرَّى ، وبحاراً من العبرات الهائجة المائجة في المدامع والمآقي ، وفراق شديد القلق والهلع من شأنه أن لا يصدق ما وقع ، ولا يقر عليه قرار ، ولا يستقر عليه أمر الاعتراف والإقرار .

إنه نعي الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – الأمين العام لندوة العلماء لكناؤ ، الهند ورئيس تحرير صحيفة الرائد الندوية النصف الشهرية ، والذي وافته المنية الفاجعة مساء أمس الأربعاء : ١٤ من رجب ١٤٤٦هـ – ١٥ من كانون الثاني (يناير) ٢٠٢٥م ؛ وذلك إثر اصطدام سيارة دهسته على حافة الطريق أثناء وقوفه على دراجته النارية لتغطية رأسه بالكوفية الشتوية للوقاية من البرد القارس في الشهر الجاري .

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمْعَا [2] نَاعٍ أَصَمَّ بِنَعْيِكَ السَّمْعَا

وقفة جميلة مع شيخنا الفقيد :

(١) سنحت لي فرصة الزيارة والتلاقي بفضيلة الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – في رحاب ندوة العلماء أول مرة عام ٢٠٢٠م وأنا قادم من مصر ، وتقابلنا في دار الضيافة .

إنها زورة أولى ذهبية حصلت بيننا ، وجلسة تعارفية طيبة نسجت أهميتها من خيوط قصيدة رثاء والده التي لا تبلى ولا تنقطع ، ولا تضعف ولا تلين مع مرور الأيام والسنين .

(٢) طلب أستاذي الشاعر المبدع المصري الأزهري الكبير محمد المعصراني إليَّ أن أفيده بأسماء أولاد سماحة شيخنا السيد محمد الرابع

---

* أستاذ المعهد العثماني للتميز ، بنغالورو – الهند .

[1] من شعر حافظ إبراهيم .

[2] من شعر حافظ إبراهيم .

الحسني الندوي ليذكرها في قصيدته الرثائية المطولة المئوية [1] التي ألفها على رحيله احتفاءً بحبه له ، وتقديراً لشخصيته الكريمة النابغة ؛ فاتصلت هاتفيّاً بالأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – فإذا هو مستقبل مكالمتي بحفاوة ومسرة ، وتحية وأريحية ، ويغمرني بعطفه ولطفه ، وكان الكلام بالعربية ، وسمعته أول مرة يتكلم بها ؛ لعله تطييباً لخاطر المخاطب ، وإكراماً لإرادته المستمرة في الوصول إلى المشوار ، وتأكيداً لأهمية اللغة العربية في حياتنا اليومية .

مارس الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – نشاطه الأدبي وموهبته الإنشائية وطورها حتى وصل بها إلى أعلاها قمةً إصلاحية ، وأسماها قيمةً أدبية ، وأوفاها أسلوباً دعويّاً ، وأثراها منهجاً فكريّاً وذلك من خلال صحيفةٍ الرائد التي خصصت له عموداً خاصّاً باسم ركن الأطفال ، ونثر فترة طويلة على صفحته المتلألئة سوانح أفكاره ، وروائع خواطره ، وبدائع مشاعره ، وبسط فيها نفوذ سيطرته القلمية في انتظام واهتمام ، وأضاء جنبات التربية والإصلاح ، وجوانب السلوك القويم والخلق العظيم ، ومطالب الصراط المستقيم ، حتى شق لنفسه طريق التقدم والتفوق ، والتميز والنبوغ في أسلوب كتابته وقوة كلمته وتمكن قلمه .

كان جميل الخلق ، طيب السيرة والمسيرة ، هادئ الطبيعة ، متزن العواطف ، متقد القريحة ، معتدل الفكر ، عميق التفكير ، كريم المعاملة ، رفيقاً ليناً غير متكلف ، ولا متصنع ، بعيداً عن الأضواء والضوضاء ، خفيف الروح ، مشرق الديباجة ، لا تفارقه ابتسامته الحانية ، وبشاشته الهانئة موصوفاً برقة الطبع ولين العريكة ، وحسن المحاضرة ، ولطف المعاشرة .

نشأته وتعليمه :

وُلد عام ١٩٦٠م في بيت عريق شهير من أسمى البيوت علماً وفضلاً ، وأشرفها حسباً ونسباً ، وأشدها صلابة في الدين والخلق ، وأعرقها مكانة في التاريخ والدعوة ، وأكثرها محافظة على القيم الدينية المنورة ، والسنن النبوية المطهرة ، وكان الابن الوحيد لوالده الأديب الألمعي ، المفكر الرشيد فضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – وحفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه الأولي في بلدته رائي بريلي ، ثم سافر إلى ندوة العلماء لكناؤ ، والتحق بها وتخرج فيها ، وحصل على شهادة الليسانس من قسم الشريعة ١٩٨١م ، وحصل

---

[1] من شعر الشاعر محمد المعصراني ، وهي منشورة في صحيفة : الرائد ، العدد الممتاز ، مايو – أغسطس : ٢٠٢٣م ، ص ٢١٠ – ٢١٢ . وفي مجلة : البعث الإسلامي ، العدد الممتاز ، شهر أغسطس : ٢٠٢٣م ، ص ٢٩٥ ، ومطلعها :

قِفَا نَبْكِ إِنَّ الْحُزْنَ عَاتٍ وَهَائِلُ وَفَجْعُ الرَّحِيلِ الصَّعْبِ غَاوٍ وَغَائِلُ

مائة بيت من الطويل .

على شهادة الفضيلة (الماجستير) ١٩٨٣م ، كما حصل على شهادة التخصص (الماجستير) من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لكناؤ ١٩٨٦م ، ثم حصل على شهادة دورة تدريبية للمعلمين من جامعة الملك سعود بالرياض ١٩٩٠م .

كتبه بين التأليف والتعريب :

(١) (أخي العزيز) بالعربية . (٢) (خواطر) بالعربية . (٣) في مسيرة الحياة . وهو مترجم إلى العربية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي . (٤) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، حياته ومنهجه في الدعوة . وهو مترجم إلى العربية للشيخ محمد الثاني الحسني . (٥) الإمام المحدث محمد زكريا الكاندهلوي ومآثره العلمية . وهو مترجم إلى العربية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي . (٦) دعوة للتأمل والتفكير . (٧) بصائر . وهو مترجم إلى الأردية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .

المناصب :

- الأمين العام لدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ .
- النائب الأول لرئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس مكتبها لشبه القارة الهندية .
- رئيس تحرير صحيفة الرائد العربية نصف الشهرية ، ندوة العلماء لكناؤ .
- كان يشرف على عدة مدارس دينية وهيئات تعليمية وندوات أدبي .

كان الأستاذ جعفر مسعود الندوي من أواخر الأبطال في ساحة الفكر الإسلامي في أسرته الكريمة بأوسع معانيه وأدواته التي كان يمتلكها عن اقتدار وجدارة وخاصة أنه كان قد أوتي من الخلق أكرمه وأعظمه ، والأدب والاحترام أعلاه وأسماه ، إلى جانب أنه امتطى سنام القيادة القلمية العربية ، واستوى على صهوة الكتابة المتميزة في حلبة من افتتاحية الرائد التي تولاها منذ فترة وجيزة ، حيث كان يطلق من جبهتها الأمامية قذائف فكره ، وجواهر أدبه ، وروائع وعظه ، وطلائع دعوته كان لها صدى جميل يتعاظم ويترامى في أنحاء البلاد وخارجها فأصدر مقالاته وكتاباته مشعة بروح دينية مخلصة ، ومشبعة بتوعية اجتماعية صادقة ، ومتقدة بالإخلاص والصدق والتفاني في سبيل العقيدة والمبدأ والهدف السامي .

إنها فجوة عميقة وسعها رحيل الأستاذ الأديب السيد جعفر مسعود الحسني الندوي –رحمه الله تعالى – في الوسط الندوي العلمي والفكري والثقافي المكثف إلى جانب فراغ إداري موسع تشهده ندوة العلماء لكناؤ ، إثر وفاته .

أَنّى حَـلَـلْتُ أَرَى عَـلَـيْكَ مَآتِماً [١] فَلِمَنْ أُوَجِّهُ فِيكَ حُسْنَ عَزَائِي
لِبَنِيكَ أَمْ لِـذَوِيكَ أَمْ لِلْـكَـوْنِ أَمْ لِلدَّهْرِ أَمْ لِـجَـمَـاعَةِ الْجَـوْزَاءِ

[١] من شعر حافظ إبراهيم .

الصحوة الإسلامية بحاجة إلى جهود علمية وإعلامية

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله

إن عقلية المثقفين بالثقافة الغربية ، وهم الطبقة الغالبة في أهل المعرفة والعلم اليوم تنطوي على الخوف من الإسلام ، لأنهم لا يعرفون عن الإسلام إلا تضايقات مختلفة للرجل والمرأة كليهما في حياتهما ، وذلك لأنهم لا يعرفون التسهيلات والموافقات الفطرية للحياة التي يحفظها الإسلام لأتباعه في مختلف جوانب حياتهم من " إن الدين يسر "[1] ، و " ما خيّر رسول الله حصلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما [2] " . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولنفسك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً [3] " . وقد جعل الإسلام أتباعه أحراراً في تناول كل طاهر من المأكولات ، وأباح لهم أخذ الطيبات من الرزق ، وأباح لهم الاستفادة مما خلق الله في هذه الأرض من الطيبات (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ) [4] ، ولكن المثقفين بالثقافة الغربية لا يعرفون عن ذلك شيئاً ، وإن عرفوا فلا يعرفون كيف تحصل لهم هذه التيسيرات ، فهم لذلك يخافون من الإسلام ويكرهونه ، ونحن ما دمنا نقصر في إزالة هذا الخوف والكراهة من الإسلام من قلوب الناس ، فسنبقى نواجه كره أمم العالم للإسلام والمسلمين ومقتها لهم ، بل وسنبقى نواجه خصومة وعداوة بين المسلمين أنفسهم ، بين الداعين إلى تطبيق الإسلام ، وبين الهاربين منه .

وزماننا اليوم هو زمان انتشار العلم والمعرفة ، وأصبحت وسائل التوجيه ، وإبلاغ الفكرة وإحلالها في النفوس ، والقلوب كثيرة ومتنوعة ، ويستفيد بها الكفار كل الاستفادة ، فقد أفسدوا ببحوثهم ومؤلفاتهم وبتعليمهم وإعلامهم أذهان الناس ، وأبعدوها عن الإسلام وعن شريعة الإسلام ، وعن نبي الإسلام ، نجد ذلك عندما نزور أي بلد من بلدان الكفر ، وندخل في دار لتوزيع الكتب ، أو مكتبة من المكتبات ،

[1] صحيح البخاري ، رقم : ٦٤٦٣ ، والنسائي ، رقم : ١٢١ – ١٢٢ .
[2] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، رقم : ٦١٢٦ . وصحيح مسلم ، الفضائل ، رقم : ٦٠٤٥ .
[3] صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، رقم : ١٩٦٨ وكتاب الأدب ، رقم : ٦١٣٩ .
[4] الأعراف : ٣٢ .

ونلتفت إلى ركن كتب تتحدث عن الإسلام وتاريخه وشريعته وأحكامه ، أو عن نظمه للحياة ، ونتصفح أي كتاب منها ، فنرى تخليطاً للحقائق وعرضاً محرفاً ، يثبت منه أن الإسلام دين الجهالة والتخلف ، وعدم مسايرته للحياة ، فيه تعدد للزوجات لإشباع النفس بالشهوات ، وفيه ظلم على المرأة وضربها إذا خالفت زوجها ، وفيه كذا وكذا .

ولقد تصفحت كتاب سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم ألفه أحد أصحاب الاختصاص في علوم الشرق أثبت فيه ببحثه ودراسته أن محمداً صلى الله عليه وسلم لما كان قد نشأ في بلد الفقر قام بإخراج قبيلته من الفقر ، ثم إخراج العرب إلى الثروة والقوة ، وحارب لأجل ذلك ، واستدل المؤلف بدلائل تخدع الأغرار من الناس ، وأثبت بذلك أنه لم يكن إلا زعيماً ، أو قائداً سياسياً قومياً فحسب ، ونحن حينما نختلط بأحد من المثقفين الكفار في أي بلد من بلدان الكفر ، ونذكر له الإسلام فما نجده إلا ويتأفف ، حسب معلوماته ومظنوناته من شدة الدين الإسلامي على أتباعه وسلوك المسلمين الإرهابي مع الآخرين ، ويظهر ظنه بأن الإسلام دين التضيق والعودة إلى عصر التخلف ، وأنه لا يصلح للعصر الحاضر ، هذا بالنسبة إلى بلدان الكفر ، أما في بلدان يحمكها المسلمون فلا نجد في أغلبية المثقفين بالثقافة المعاصرة إلا تصورات شبيهة بذلك التصور .

في هذا الوضع كيف نعتقد أن الذين يملكون أزمة السياسة والحكم وقيادة نظم الحياة الاجتماعية المختلفة سيرضون بالإسلام كبديل حسن لنظمهم السائدة ، بل ولن يكرهوا الإسلام ، ولن يكيدوا ضد غلبته ، ووصول المتمسكين به والمتعصبين له إلى منصة الحكم .

الأمر في كل ذلك إنما يرجع إلى تقصيرنا نحن ، وإلى خطأنا في التقدير ، وعدم استعراضنا للحالة الواقعية ، وإلى أننا لا نهتم إلا قليلاً جداً بتصحيح فهم المخطئين لفهم الإسلام ، وفهم تاريخه المجيد في صورته النافعة الحقيقية ، ولا نهتم بإعداد وتوزيع كتب لشرح الإسلام للجاهلين له ، ولا نهتم بعقد ملتقيات في الأوساط الكافرة ، تعرض على الغافلين عما يمتاز به الإسلام على غيره من فضائل وموافقات طبيعية ، ولا نهتم باختيار وسائل الإعلام في العالم الأجنبي ، وفي العالم الإسلامي كليهما ، إن جهودنا في كل هذه المجالات قليلة تافهة جداً ، نحن نبذل أموالاً طائلة على رغباتنا الشخصية ، ولكننا لا نبذلها على مصالحنا الاجتماعية ،

وحاجاتنا الدعوية ، وعلى الوسائل الأدبية والعلمية المفيدة إلا قليلاً ، أما في مجال التعليم فإن تخريجنا لرجال يضطلعون بمهام العمل في النظم الإدارية ، والتخصصات التنظيمية والعلمية ، مع معرفتهم الصحيحة لأحكام الإسلام ، وروح الإسلام ومع الكفاءة اللازمة لسياسة البلاد ، لا يعد بشيئ أمام تخريج المؤسسات الغربية مئات وألوفاً من الإخصائيين في الأعمال المختلفة مع بعدهم عن الثقة بالإسلام ومعرفة أحكامه وروحه .

لماذا لا نبذل جهودنا في تربية كتاب ومؤلفين يقومون بإعداد بحوث علمية وأدبية ، ويؤلفون الكتب على المنهج العلمي الرائق ، وباللغة الفصيحة التي يتحسنها أهل اللغة ، ويستجيدون قراءتها ليعرضوا فيها حقائق الإسلام بروعة تعبير ، وأسلوب أخاذ يجذب إليها القراء ، وكذلك أمر الصحافة والإعلام ، فنحن فيهما في الحضيض ، لا نستخدمهما إلا لمجرد الاستهلاك المحلي ، ولإشباع الرغبات فحسب ، وعدونا يتعلمهما لتربية الأذهان ولمصلحة خاصة ، إنه عمل مضن دون شك ، ولكنه لا بد منه إذا أردنا أن يفهمنا غيرنا على الصورة الصحيحة الصادقة فيقتنعوا بجدارة الإسلام لمسايرته للحياة المعاصرة .

إننا نجحنا في إيقاظ عدد لا بأس به من الجماهير المسلمة على ضرورة عودتهم إلى الإسلام وتطبيق نظم إسلامية للحياة ، وهو عمل عظيم من غير شك ، وسوف تكون له جدواه ونتيجته الحسنة ، ولكن تقصيرنا في مجالات أخرى من كسب طاقات لا بد منها لإقامة الحياة الإسلامية تقصير يخاف فيه من أن يطمس جانباً من جهود قادة الفكر والرأي المسلمين لتصعيد الصحوة الإسلامية السائدة اليوم ، هذا جانب مهم يجب أن نهتم به أيضاً ، وحينئذ تعطي جهودنا للصحوة الإسلامية ثمراتها الطيبة الكاملة ، مما تساعد في إقامة نظام شامل مقبول لدى الناس ، ولقد هدانا الله تعالى بقوله : (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ . وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [1] .

[1] النحل : ١٢٥ – ١٢٨ .

الرزق في وحي اللّه وما يجب فيه من الحقوق

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور غريب جمعة *

كان ختام الحلقة السابقة هو :

أن المنفق في إرضاء ربه وإعلاء دينه كمثل أبرك بذر زُرع في أخصب أرض ، فنما نمواً حسناً ، فجاءت غلته سبع مائة ضعف .

ويؤكد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم هذه الزيادة والمضاعفة من اللّه الواسع العليم ، فيقول : " من أرسل بنفقة في سبيل اللّه ، وأقام في بيته فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة درهم ، ومن غزا في سبيل اللّه ، وأنفق في جهة ذلك فله بكل درهم سبع مائة ألف درهم " ثم تلا هذه الآية . [أخرجه ابن ماجه عن علي وأبي الدرداء] .

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : " إنَّ اللّه يقبلُ الصدقةَ ويأخذها بيمينِهِ فيُرَبِّيها لأحدكم كما يُرَبِّي أحدكم مهرَهُ أو فلوَّه أو فصيله (المهر والفلو والفصيل ولد الفرس) حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد " ، قال وكيع وتصديق ذلك في كتاب اللّه : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُو يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِه وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة : ١٠٤] ، (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) [البقرة : ٢٧٦] .

وعن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه : أن الغزاة المنفقين قد خبأ اللّه تعالى لهم من خزائن رحمته ما ينقطع عنه علم العباد [١] .

وبما أن هذه الأموال التي تملأ رحب الأرض هي للّه خالقها ومعطيها لمن يشاء ، فلا ريب أن اللّه جل جلاله ما خلقها عبثاً ولا خلقها لكي يحجرها بعض الناس عن بعض ، وإنما خلقها لكي يتعاونوا بها على البر والتقوى ويستعينوا بها على الإحسان ، ومن العظمة الهائلة أن هذا المال الذي هو للّه أصالة يعتبره اللّه إذا أنفق منه العبد الذي وصل إليه إنما هو قرض للّه عز وجل يضاعف أجره أضعافاً كثيرة . قال تعالى : (مَّن ذَا

* جمهورية مصر العربية .

[١] تفسير المراغي ، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ، طبعة دار الفكر (لا يوجد تاريخ للطبعة) ، المجلد الأول ، الجزء الثالث ، ص ٣٠ .

الَّذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة : ٢٤٥] .

والله جل جلاله هو المعطي على كل حال ، ولكن علم عباده – حينما يقدمون ما قدمه إليهم سلفاً لإخوانهم – علمهم الأدب والصدق والمحبة والتواضع ، وأن يكون هذا العطاء خالصاً لوجهه الكريم دون غاية من الغايات أو علة من العلل ودون تسخير أو إذلال .

أنعم نظرك فيما سوف يأتيك من آيات تجد أدباً عالياً وخلقاً كريماً وإنسانية فذة ورحمة واسعة لا تجد مثل ذلك إلا في وحي الله .

وما حصر الله عز وجل الإنفاق أن يكون في سبيله فقط إلا ليخرج الناس من أنانيتهم وحزازاتهم وكبرياء بعضهم على بعض ، وإلا ليخرج الناس من انحطاط نفوسهم وزعمهم أنهم هم المعطون ، جاهلين أو متجاهلين حقوق الله عليهم وإسباغ نعمه وبركاته عليهم . فالزكاة لا تخرج إلا لله فقط لا لكسب ولا لتخير ولا لمنفعة ولا لشيئ مما يعود على المعطى بالنفع الخاص .

ألا ترى إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها حين كانت ترسل الصدقات إلى المستحقين توصي المرسل بأن يسمع ما يقولون من دعاء وثناء وشكر . فإذا عاد المرسل إليها وذكر ما قالوا . رفعت يدها إلى الله وقالت مثل قولهم وقالت ما معناه : هذه بتلك ، وإنما العطاء في سبيل الله ، لأنه هو المعطي أولاً وآخراً .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ، قال : " أقسميها " ، فكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول : ما قالوا ؟ تقول الخادم : قالوا : بارك الله فيكم ، فتقول عائشة : وفيهم بارك الله ، نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا [1] .

وحسب المؤمن أن يسمع قول الله جل وعز بأذنين واعيتين وقلب خاشع ونفس راضية : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) [البقرة : ٢٦٣] .

وويل للذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى والتفاخر والتباهي وانتفاخ الصدور الكاذب ورفع الرءوس الفارغة إلا من العجب والرياء وعد الإحسان على من أحسنوا إليه وإيذائه بالتطاول عليه . أجل يا ويلهم ولم لا يكون ذلك الويل معدلهم والله عز وجل يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا

[1] صحيح الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيميه ، ص ٨١

صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [البقرة : ٢٦٤] .

ومَا ينفعك النَاس حين تنفق لفتاً لأنظارهم لك ولإكبارك وتترك من بيده الأمر كله خالق السموات والأرض ؟

لا شك أن من يفعل ذلك إنما هو مرتاب أثيم يحفه الصَّغَار من كل مكان ، ولو فطن هذا المفاخر المباهي المرائي للناس أن عمله في نظر الله لا شيئ ، بل هو كحجر أملس عليه تراب يحسبه صالحاً للإنبات فنزل عليه من المطر ما أزال التراب وبقي الحجر الصلد على طبيعته حجراً صلداً . وهل ينتظر من الحجر الصلد إنبات ولو حبة شعير ؟

ولو نظر المؤمن بمنظار الحق والوعي واليقين إلى الصورة المشرقة الوضاءة التي وصف الله بها الذين يتصدقون لوجهه وحده وفي سبيله وحده ولطلب رضاه وحده . لو نظر إلى هذه الصورة في قوله تعالى : (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة : ٢٦٥] ، لو نظر إلى هذه الصورة لما وسعه إلا أن يخر ساجد قائلاً : سبحانك ربي سبحانك .

ألا ترى الروعة التي تأخذ بالقلوب حينما ترى جنةً عاليةً في ربوة زاهية نضرة ، بعيدة عن تراكم المياه الجوفية وجوائح الغرق ، فإنها تنضر بالأمطار وتزهو وتزهر ، ومع ذلك لا تجف إن لم يصبها المطر الكثير ، إذ المطر القليل (الطل) يكفيها لكي تظل ناضرة مشرقة مثمرة ، وكل ذلك إنما يكون لإخلاص المخلصين من عباد الله المكرمين الذين يقدمون أموالاً بتواضع وانكسار وشكر لمولاهم الذي مكنهم من ذلك ، ومن أحق من الله بالشكر جل جلاله ؟

ولا يحسبن الذين يملكون الأموال الطائلة والقصور الشاهقة والحدائق الغناء التي تجري من تحتها الأنهار . لا يحسبن هؤلاء أن هذا دائم ومرعي برعاية الله ومحفوظ بحفظ الله إن لم يكونوا من المؤمنين الشاكرين الصادقين .

وكم وكم رأينا ممن يملكون الأموال الطائلة والقصور الشاهقة والحدائق الغناء ، لقد ذهب كل ذلك كما يذهب الأمس الدابر ولا تبقى إلا الغُصص والآهات وضرب الأكف بعضها ببعض . هذا حق وكثير في

الدنيا وكم رأينا في هذه الدنيا مصداق قوله تعالى : (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا من كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) [البقرة : ٢٦٦] .

وإن كنت أيها المؤمن حريصاً على ألا تفلت من يديك نعم الله وعطاياه وما أسبغ عليك من نعم ظاهرة وباطنة فحافظ عليها بالأدب الرفيع والسخاء العظيم الذي أمرك الله به بكل أدب وتواضع وثقة ، فأنت حينئذ حصنت أعمالك جميعاً بالحصون والصياصي وحفظتها للبقاء والاستمرار .

وما أكرم المؤمنين الصادقين الذين يخرجون من حر أموالهم وأكرمها وأحسنها وأجودها في سبيل الله ، ذلك لأنهم يعلمون يقيناً أنهم لو كانوا هم الآخذين ما قبلوا الخبيث أبداً ، والحقيقة أن المؤمن الصادق لا يرضى لسواه إلا ما يرضاه لنفسه . هذا هو الإيمان والنور والهدى والرضوان تجاوباً مع قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا من طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ منْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [البقرة : ٢٦٧] .

ألا يعلم أرباب الأموال أن الأبالسة ترقص بين أيديهم وتقف في وجوههم وتوحي إليهم بالآثام ، وتحذرهم الفقر إن هم أنفقوا في سبيل الله . ولو علموا أن هذه لمات من الشيطان ووسوسة منه لما فعلوا ذلك أبداً . يقول الله تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً منْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة : ٢٦٩] .

والحق أن المؤمن الصادق يعلم يقين العلم أن وعد الله حق ، وأن قول الله حق ، وأن الإتمار بأمره والسير على منهاجه فيه السعادة الكبرى والطمأنينة والخير والبركة .

والحقيقة أن الحكمة في أمر الصدقات وسواها أمرها خطير وشأنها عظيم ومقامها عند الله كبير ، ولماذا لا تكون كذلك والله جل جلاله وصفها بأنها خير كثير . والخير الكثير لا يقدر ولا يحاط به لأنه خير يليق بكرم أكرم الأكرمين وإحسانه على عباده الصالحين . يقول الله تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [البقرة : ٢٦٩] .

والله سبحانه وتعالى أعقب الحكمة بأن النفقة والنذر وسوى ذلك

من وسائل البر إنما هي محفوظة المكانة عنده عز وجل ، وناهيك بذلك من إعزاز وناهيك بذلك من إكرام ، وناهيك بذلك من عطاء . اقرأ قوله تعالى : (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) [البقرة : ٢٧٠] .

وخير الصدقات صدقات السر التي لا يطلع عليها سوى المولى الكريم الذي أخرجت من أجله وفي سبيله ، ومع ذلك فإن الله جل جلاله ، إن تصدق المتصدق بصدقة علنية ويريد بها حث الغير ودفعه إلى العمل بالمثل فإن في ذلك مرضاة لله ولا حرج فيه . يقول الله تعالى : (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [البقرة : ٢٧١] .

والنهاية أن الله هو الخبير العليم بأعمال عباده السرية والعلنية وهو يعلم دوافعها وحوافزها من أجلها وكل ما يتصل بهذا الباب .

ولكل حسابه عند ربه دون بخس أو عنت أو نقصان : (فَمَن يَعمَل مثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه . وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) [الزلزلة : ٧ – ٨] . وكل أدرى بنفسه من غيره .

ولا ينبغي في هذا المقام أن يحسد أحد أحداً على الرزق ما دام الرزق قسمة في السماء . يعطي الله ما شاء لمن شاءه .

فلنحذر دواعي الهلاك ، لأن الحسد داء دفين مهلك حتماً . ولا ينبغي أن يحسد أحد أحداً على الرزق مادام الله سبحانه وتعالى هو الرزاق الأوحد ، وبابه أبداً يظل مفتوحاً للطالبين المخبتين المخلصين ، فليطرق الطارقون هذا الباب ، فإنه يسع أهل الدنيا والآخرة وقد وسعهم فعلاً .

فالطائر في السماء يرزق ، والحوت في أعماق البحار يرزق ، والحشرة في جحورها ترزق . مصداقاً لقوله تعالى : (وَمَا من دَآبَّة فِي ٱلأَرضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّه رزقُهَا وَيَعلَمُ مُستَقَرَّهَا وَمُستَودَعَهَا كُلّ فِي كتَاب مُّبين) [هود : ٦] .

ومن أحسن ما قيل في هذا المقام قول الشاعر السعودي محمد حسن فقي :

أكرمني الله فما حيلتي ... فيمن يراني غير أهل لذاك
ويحك لا تجهر بما قلته ... ولا تدعه ناهشاً في حشاك
سبحانه يمنح من شاءه ما شاءه ... فاحذر دواعي الهلاك
واطلب إلى ربك من فضله ... عساه بالكوثر يروى صداك

(انتهت)

طاعة النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي
تعريب : الأخ نعمت الله قاسم الندوي *

عاقبة الكفار والعصاة :

لقد ذكر الله تعالى في مواضع متعددة من كلامه أن العاصين للرسول صلى الله عليه وسلم والمعاندين له سيلقون عذاباً شديداً ، وأنهم يوم القيامة يتحسرون على ما فعلوا في الدنيا ويندمون على جرائمهم الشنيعة التي أتوا بها بعصيانهم للنبي صلى الله عليه وسلم واستهانتهم بتعاليمه وتوجيهاته . يقول تعالى : (يَوْمَئِذ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا) [النساء : ٤٢] .

وقد حذرهم الله تعالى من عواقبهم الوخيمة المؤلمة مراراً ، فقال : (وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) [الأنفال : ١٣] .

وفي موضع آخر : (فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور : ٦٣] .

والحقيقة أنه لا يمكن أن يعصي النبي صلى الله عليه وسلم إلا من أعمته أهواؤه وضلت بصيرته خلف شهوات الدنيا وزخرفها ، فلا يهمه سوى شهواته ورغباته في المال والجاه والمنصب ، فلا يبحث عن الحق ولا يريد أن يفهم ما أنزله ربه من الهدى والنور .

قال تعالى : (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [القصص : ٥٠] .

الإعراض عن حكم الرسول من أعمال الكفر والنفاق :

إن الكفار والمنافقين إذا دُعوا إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم لم يطيعوا ، بل يتكبرون ويعاندون في قبول الحق ، فعصيان النبي صلى الله عليه وسلم علامة من علامات الكفر والنفاق .

يقول تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ

* معهد الدراسات العلمية ، ندوة العلماء ، لكناؤ .

ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً) [النساء : ٦١] .

ويقول في موضع آخر : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا أَوَ لَوكَانَ آبَآؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيئاً وَلا يَهْتَدُونَ) [المائدة : ١٠٤] .

ذكر اتباع الرسول في الأحاديث :

وقد أكد الله سبحانه وتعالى مراراً وتكراراً اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن المجيد ، وحذر من يعصونه من عذاب شديد ، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه هذا الأمر في حديثه .

وهذا من الإعجاز النبوي ، حيث استشرف النبي صلى الله عليه وسلم بعين نبوته زماناً سيخرج فيه من الناس من ينكر الحديث والسنة ، فأعلن عليه الصلاة والسلام : " لا أُلفينَّ أحدَكم متكئاً على أريكتِه ، يَأتيه الأمرُ من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه ، فيقول: لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه " (سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، رقم الحديث : ٤٦٠٧) .

لقد ترك بعض الصحابة أموراً كان يقوم بها النبي صلى الله عليه وسلم بدافع التورع ، وعزموا على مواصلة العبادة ليلاً ونهاراً ، واعتقدوا أن التورع الزائد والعبادة المستمرة ولولم تثبت من النبي صلى الله عليه وسلم تزيدهم فضلاً وقرباً من الله سبحانه وتعالى .

فعندما علم بذلك قال صلى الله عليه وسلم : " ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهُونَ عن الشيئ أصنعُه ؟! فواللهِ إنِّي لأعلَمُهم باللهِ وأشدُّهم له خشيةً " (صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ، رقم الحديث : ٦١٠١) .

وقال في حديث آخر : " القرآنُ صعبٌ مستصعَبٌ على من كرِهَه ، ميسَّرٌ على من اتَّبعَه ، وهو الحكَمُ ، وحديثي صعبٌ مستصعبٌ وهو الحكَمُ ، فمن استمسَكَ بحديثي وفهمَه وحفِظَه جاء مع القرآنِ ، ومن تهاون بالقرآنِ وبحديثي خسِرَ الدنيا والآخرةَ " (كنز العمال : ٢٤٦٨) .

وقال : " من اقتدى بي فهو مني ، ومن رغب عن سنتي فليس مني " (مسند أحمد ، رقم الحديث : ٢٤١٨٩) .

وقد بين ذلك في رواية بمثال فقال : " كلُّ أُمَّتي يدخلونَ الجنَّةَ إلا مَن أَبى ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ومَن يَأبَى ؟ قال : مَن أطاعَني دخلَ الجنَّةَ ،

ومَن عصاني فقد أَبى " (صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب ، باب الاقتداء بسنن رسول الله : ٧٢٨٠) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : " جاءت ملائكةٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو نائمٌ ، فقال بعضُهم : إنَّه نائمٌ ، وقال بعضُهم : إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ ، فقالوا : إنَّ لصاحبِكم هذا مَثَلاً ، فاضربوا له مَثَلاً ، فقال بعضُهم : إنَّه نائمٌ ، وقال بعضُهم : إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ ، فقالوا : مَثَلُه كمَثَلِ رجلٍ بنى داراً ، وجعل فيها مَأدُبةً ، وبعث داعياً ، فمَن أجاب الداعيَ دخَل الدارَ وأكل من المأدُبةِ ، ومن لم يُجِبِ الداعيَ لم يدخلِ الدارَ ولم يأكُلْ من المأدُبةِ ، فقالوا : أوِّلوها له يفقهْها ، فقال بعضُهم : إنَّه نائمٌ ، وقال بعضُهم : إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ ، فقالوا : فالدارُ الجنَّةُ ، والداعي محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ، فمَن أطاع محمَّداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع اللهَ ، ومن عصى محمَّداً صلى الله عليه وسلم فقد عصى اللهَ ، ومحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم فرْقٌ بين الناسِ " (صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول اللهَ ، رقم الحديث : ٧٢٨١) .

الأسوة الحسنة :

لقد أمر الله سبحانه وتعالى في مواطن كثيرة من القرآن الكريم باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهمية هذا الاتباع واضحة وجلية ؛ لأن المتبع ينبغي أن يكون قدوة حسنة ونموذجاً كاملاً يحمل في حياته شخصية قوية تترك تأثيراً عظيماً في النفوس .

وتكون حياته مشعلاً يُبدد الظلمات لمسالك الحياة كافةً ، ويهدي التائهين الضالين إلى الصراط المستقيم ، وينبغي أن يكون قائداً كاملاً وهادياً متكاملاً يستطيع أن يساير الركب الإنساني كله في شتى مراحل الحياة ، ويرشده إلى النجاح الحقيقي السرمدي في كل زمان ومكان ، ويسهل في ظل توجيهاته اجتياز أصعب العقبات وأشد التحديات ، وإن هذا المتبع الكامل والقائد المثالي الأعظم كان حقاً نبينا محمداً العربي صلى الله عليه وسلم .

وقد خاطب خالق العالمين الإنسانية كلها قائلاً : (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب : ٢١] .

(وللحديث بقية)

الحوار وسيلة سلام للمجتمعات البشرية

د . محمد أيوب تاج الدين الندوي *

التعايش بسلام في المجتمع البشري مقصد شريف يتطلبه كل فرد من أفراده . ولا يتحقق ذلك إلا إذا تفاهم الناس اختلافاتهم . والحوار أجل وسيلة لنشر السلام في المجتمعات البشرية . والعقلاء يبحثون عن فرص لتبادل الأفكار وتفاهم المواقف وحصول التجارب ، وهي جميعاً بدورها تقود الناس في المجتمع إلى معرفة أحوال الآخرين وظروفهم والتفاهم معهم . ومن المعلوم أن للتعددية الثقافية فوائد كثيرة ، ولكنها في نفس الوقت لها تحدياتها ومشكلاتها . وإن وجهة نظر دينية خاصة أو مذهبية يمكن أن تشعل شرارة الخلاف وحتى الصدام في المجتمعات البشرية .

إن الناس في العالم المتعدد الثقافات ينتسبون إلى ديانات عديدة وحتى إلى أقاليم ومناطق مختلفة . وإذا كانوا في دين واحد فهم يختلفون إلى مذاهب ومدارس فكرية متعددة . ولقد خلق الله تعالى الناس وجعلهم مختلفين في ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم ، ولكن هذه الاختلافات ليست هناك ليتناكروا ويتنازعوا ، وإنما هي ليتعارفوا كما قال تعالى : (يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [1] .

فالذين يستخدمون العنف لسيطرتهم في المجتمع وهيمنتهم على الناس أولئك هم السفهاء وطاشت عقولهم ، وأما الذين صبروا واختاروا التعقل والحكمة لحل المشكلات فأولئك هم الأذكياء وهم يعقلون . والحوار أجل وأجمل وسيلة يستخدمها العقلاء لحل المشكلات في المجتمع ، وهو أفضل منهج يتخذه أولو الألباب لنشر السلام في الناس . وإن العلماء المخلصين والفلاسفة المفكرين اتخذوا الحوار وسيلة ودعوا إليها الآخرين في أيامهم حتى يسود الأمن والسلام في العالم المتعدد الثقافات .

* أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي ، Email: mayub@jmi.ac.in

[1] سورة الحجرات : الآية ١٣ .

في العقد الأول من القرن الحالي تكشف عقد برامج ومؤتمرات حوار الأديان في العالم ، وذلك بعدما اقترح الباحث السياسي صموئيل هانتغتون نظرية صراع الحضارات وآمنت بها أمريكا ، وبدأت تهاجم دول الشرق وخاصة الدول الإسلامية منها مثل أفغانستان والعراق وبعدما عانت من خسائر فادحة في الأموال والأنفس ووجدت أن المسلمين بدؤوا يبغضونها بغضاً شديداً ، وخافت أن حربها الاستراتيجية في غرب آسيا تتحول إلى حرب صليبية جديدة ، لجأت أمريكا إلى حوارات للديانات المختلفة وخاصة الإبراهيمية منها ، وحاولت أن تقلل غضب المسلمين وقدمت نظرية الحوار بين الأديان . ومن المعلوم أن الإسلام من أول يومه شجع الحوار والمجادلة مع أهل الكتاب ، وليس هذا أمراً جديداً ومستحدثاً لدى المسلمين ، وإن المسلمين دعووا دائماً – اتباعاً لرسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم – إلى هدم الجدران وإقامة الجسور المتينة بين مختلف الأمم كي تتعارف الثقافات والشعوب ، وإلى إقامة الحوار بدل الصراع ، الحوار الحر الصادق انطلاقاً من قوله تعالى : (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [1] .

إن الأوضاع الحالية التي يمر بها العالم ككل والعالم الإسلامي خاصة تفرض على الدعاة وحملة الأقلام الدعوية مخاطبة غير المسلمين أياً كان موطنهم بأسلوب الإقناع بعيداً عن العصبية ، لتغيير المفاهيم التي روج لها المستشرقون في الغرب ، واستغلها الساسة والمثقفون والكتاب الذين لهم موقف معاد للإسلام .

إن الإسلام يعتبر الناس أبناء عائلة واحدة ، وكلهم سواسية ، فكل الناس في جميع أقطار الأرض سواسية ، ولا فرق في ذلك بين أبيض وأسود ، ولا بين أسمر وأصفر ، لأن أباهم واحد ، وهو سيدنا آدم وأمهم واحدة وهي سيدتنا حواء ، وقد صرح بذلك بوضوح دستور الإسلام وكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيقول : (يا أَيُّهَا

[1] سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَٱلأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) [١] .

فالإسلام يرتفع بمستوى فكر الإنسان إلى منزلة عالية رفيعة ينظر منها إلى المرافق الدنيوية نظرة حقارة ، وكل الناس في العالم سواسية لا حدود بينهم ولا قيود ، يعيشون في هذه الأرض فلا فضل بينهم بسبب جنسية أو لون أو قبيلة ، فمثله كمثل رائدة فضاء أمريكية هندية سنيتا وليام التي قالت في اجتماع لها بالطلاب في المركز العلمي الوطني بنيو دلهي في أول أبريل عام ٢٠١٣م : " لقد غيرت بعثتي الفضائية وجهة نظري تجاه الناس ، فحينما كنا ننظر إلى الأرض لم نر حدوداً ولا ناساً من جنسيات مختلفة ، واكتشفنا حينئذ أننا جميعاً مجموعة من البشر ومواطنون في الكون بأكمله " [٢] .

وإن البشرية يختلف أفرادها في أجناسهم وألوانهم ، وفي لغاتهم ودياناتهم ، وليس هذا الاختلاف في الجنس واللون ، وفي اللغات والديانات إلا آيةً من آيات الله التي تدل على عظمة قدرة الله في خلقه ، إذ قال الله تعالى : (وَمِنْ آيَاته خَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) [٣] .

وإن التعايش بسلام بين الأديان الذي نقصده هو في الحقيقة تعايش الحضارات ، وليس صراع الحضارات ، وهو أن يتفق أهل الديانات والحضارات المختلفة لأجل سيادة الأمن والسلام في العالم حتى يعيش الناس في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يكون لصالح البشرية جمعاء . فهذا التعايش بسلام بين أصحاب مختلف الديانات وحتى من لا يؤمن بأي دين أمر مطلوب من عند رب الناس ، وبعد الثورة في تقنية المعلومات التي ربطت الناس في مختلف أصقاع الأرض بشبكة التواصل ، وحولت العالم إلى ما يشبه القرية الصغيرة وسهلت الترابط بين البشر من شتى الجنسيات والديانات ، ازدادت الأهمية للحوار والمفاوضات مباشرةً أو

[١] سورة النساء : الآية ١ .
[٢] The Hindu P ١١ dated ٠٢ April ٢٠١٣
[٣] سورة الروم : الآية ٢٢ .

غير مباشر حتى يسهل التفاهم والتعايش السلمي بين الاتجاهات المختلفة والمتعارضة .

وقد أكدت اللجنة المشتركة للحوار بين الأزهر في مصر والكنيسة الأسقفية في بريطانيا ، أن الحوار بين الأديان لا يمس العقائد ، وإنما يسلم كل طرف للآخر بعقيدته وفقاً لمبدأ " لكم دينكم ولي دين " ، مع المناقشة بالحكمة والموعظة الحسنة ، لإعلاء قيم الحق والعدل والعلم والتقدم والسلام العادل وترسيخ مبادئ المواطنة والعمل على رفعة شأن الوطن وتحقيق الازدهار والتقدم للشعوب [1] .

وإن الإسلام يلح دائماً بالتعايش بين مختلف الطبقات في المجتمع البشري ، وإن هذا التعايش بين الأديان وبين مختلف الثقافات والحضارات هو في الحقيقة أساس ضروري لتعمير الأرض ، ولم يأت رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً إلا رسول سلام ورحمة للعالمين ، وما اتفاقية صلح الحديبية وميثاق المدينة ، وخطبته الأخيرة يوم حجة الوداع إلا نماذج أرست بدعائم السلام في المجتمع المتعدد الاتجاهات لكي يمكن للمسلمين من الأنصار والمهاجرين والمشركين واليهود والصابئين والوثنيين وغيرهم التعايش بسلام وحتى تكون الحرية للتفكير والدراسة الجادة لفهم الديانات المختلفة ، ويكون الخيار لقبول ديانة واختيارها بدون إكراه ، وهذا ما أكده ميثاق الأمم المتحدة في المنتصف من القرن الغابر .

وبما أن البشرية دخلت في القرن الواحد والعشرين مع شبكاتها السريعة للتواصل والترابط ، فمن الصعب أن يعيش الإنسان مع نفسه أو عائلته أو قبيلته دون أن يختلط مع بقية المجتمعات الأخرى التي تؤمن بغير دينه ، وهناك معاملات مالية أو اجتماعية في سفره وحضره ، يقوم بها الإنسان لمصالح ، أو أهداف ، أو ضرورات مشتركة ، فالأمل مازال معقوداً في أن يتعايش أصحاب الديانات المختلفة بين بعضهم البعض ، وإن هذا التعايش بسلام لابد أن يبتني على الثقة والاحترام المتبادلين ، وعلى الرغبة في التعاون لخير الإنسانية في المجالات ذات الاهتمام المشترك .

[1] http://gate.ahram.org.eg/News/٢٧٥٠١٧.aspx-

إن اللقاء والحوار بين أصحاب مختلف الديانات أمر لابد منه ، إذ أن التباعد يسبب في التنافر ، والتنافر يخلق الشبهات ، والشبهات تتعدى إلى الصدامات التي تجر البشرية إلى الخراب والهدم ، (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ) [1] ، وإن رب هذا الكون لا يحب الفساد ولا المفسدين في أرضه . وإن اللّه تعالى خلق الأرض وما فيها بل وخلق الكون كله لصالح البشرية ، وإذا قامت عصابة لاستغلال ما في الأرض للأغراض الذاتية ، فعلى جميع الطبقات ردعها ومنعها من ذلك ، وإلا سوف تعاني البشرية مغبتها ونتائجها الوخيمة ، ولأجل ذلك لابد من الاتحاد والاتفاق بين جميع طبقات البشرية بغض النظر إلى الديانات أو الاتجاهات ، ولا يمكن ذلك إلا إذا جلسنا وتفاوضنا واتخذنا الحوار وسيلةً لإنقاذ البشرية من الدمار والهلاك .

إن المعروف معروف والمنكر منكر لدى أتباع جميع الديانات ، وهو ما تعودته الطبيعة البشرية وفطرة الإنسان السليمة . وإذا كانت التعصبات الفردية والجماعية قد صدأت هذه الفطرة السليمة فلابد من تصفيتها وتطهيرها بالجلوس والتفكير فيما هو في صالح البشرية ، والناس في عامة الأحوال في جميع الديانات صالحون يحبون السلام ويحبون التعايش بسلام ، وهم يتفقون في قيم وأقدار توارثوها هم عن آبائهم ولا ينازعهم فيها منازع ، وهي قيم إنسانية مشتركة ، ومن هذه القيم التسامح والتفاهم ، وحل الصراعات مع الآخرين ، والتعاون والعمل الجماعي ، والمسؤولية ، ومساعدة الآخرين ، وإشراك الآخرين ، والعمل التطوعي ، وأعمال الإغاثة ، واحترام الآخرين واحترام الوقت والمواعيد ، والتضامن وتقدير التراث الإنساني والقدرة على التكيف .

ومن أهم أسس التعايش هو الاعتراف بخصوصية كل دين ، وقبول الحوار فقط حول القيم الإنسانية المشتركة ، من أجل سعادة ورفاهية البشر وتقليص المنازعات وتوسيع الأخوة الإنسانية .

لقد أمر القرآن الكريم بالإحسان إلى من يعايش المسلمين

[1] سورة الروم : الآية ٤١ .

ويعاشرهم معاشرةً حسنةً ولا يعمل على تدميرهم وإخراجهم من ديارهم . وأما من يعمل على قتال المسلمين وإخراجهم فقد أمر بقتالهم ونهى عن برهم مصداقاً لقوله تعالى : (لاَّ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ) [1] . ولقد ظل التعايش قائماً بين المسلمين وغيرهم بسبب إقرار الإسلام حرية التدين لغير المسلمين سواء كانوا كتابيين أم غير كتابيين ، وذلك تثبيتاً لقوله تعالى : (لاَ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ) [2] ، وروي أن وفد نجران – وكان من نصارى العرب لما قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا مسجده وحانت صلاتهم فقاموا يصلون في المسجد ، فأراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم فصلوا صلاتهم ثم عقدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً يدفعون بموجبه الجزية ، وكتب إلى أبي الحارث أسقف نجران رسالة فيها : " أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير ، من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم . . . لا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ، ولا شيئ مما كانوا عليه " [3] .

فالإسلام كدين سماوي يقوم على مبادئ ثابتة وأسس واضحة لا يرفض التعايش إذا كانت الغاية منه تلقائيةً تهدف إلى خدمة الأهداف الإنسانية السامية وتحقق المصالح البشرية العليا ، وأهمها استتباب الأمن وانتشار السلام في الأرض وردع العدوان والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالأفراد والجماعات والشعوب ، بشرط أن يكون هذا التعايش محكوماً بالاحترام المتبادل بين أصحاب الديانات والإنسانية جمعاء ، بما يدعم التقدم وخدمة القضايا الإنسانية العادلة وقيم الخير والعدل .

---

[1] سورة الممتحنة : الآية ٨ و ٩ .

[2] سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

[3] زاد المعاد لابن القيم ، ص ٤١ ، ج ٢ .

النظافة في الحياة البشرية

من خلال المصادر الإسلامية والدراسات الحديثية

(الحلقة الثالثة)

د . يوسف محمد الندوي*

الاستحمام :

العناية بنظافة الأجسام أمر بالغ الأهمية في الطب الوقائي ، فعدم نظافة الجسم في غاية الخطورة للصحة البدنية ويسبب عدم نظافة الجسم تعطيل وظيفة إفراز العرق من الجلد ، كما يسبب انسداد مسامات الجلد بالأملاح والمواد الدهنية . رغم ذلك يسبب وجود الأوساخ على الجلد بعض الأمراض مثل التيتانوس والدمامل والأمراض الجلدية ؛ وعدم النظافة يسبب ظهور القمل والبراغيث وتكاثرها أيضاً ، وقد يسبب عدوى الحمى الراجعة والطاعون والتيوفوس ، لذلك لا بد من العناية بأعضاء الجسم بشكل كامل ومستمر [١] .

وظائف الجلد وفوائد الغسل :

- يقوم الجلد بوظائف هامة ، فهو يقي البدن ويحفظه من المخرشات الآلية والجرثومية بما يفرزه من طلاء دهني .
- وهو حصن الدفاع الأول ضد الجراثيم .
- ويعمل على التوازن الحراري في البدن بما فيه من غدد عرقية هامة كما يطرح عدداً من السموم الداخلية عن طريق العرق ، فيساعد بذلك على عمل جهاز البول ويخفف من أعبائه .
- والجلد هو عضو الحس ، والإحساس يجعل البدن على اتصال بما يحيط به .

فوائد الغسل :

- إزالة الإفرازات العرقية والدهنية من الجلد .
- إزالة الغبار والأوساخ العالقة بالجلد .
- إزالة رائحة العرق الكريهة .
- وقاية الجلد من الميكروبات والجراثيم السطحية عن طريق الغسل [٢] .

---

* الأمين العام : رابطة الأدب الإسلامي فرع كيرلا ، الأستاذ المساعد ، كلية الفنون والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوايناد ، كيرلا ، الهند .

[١] د . أيمن مزاهرة ، الصحة والسلامة العامة : ٣٦ .

[٢] د . قاسم سويدان ، الطب منبر الإسلام ؛ الموسوعة الذهبية ، ص : ٩٠٣ – ٩٠٤ ،

نظافة الجسم لها أهمية كبرى في حفظ الصحة البشرية ، لقد حرض القرآن الكريم والحديث النبوي بتنظيف البدن والثوب والبيت وما يتعلق بها عن النجاسات والقاذورات ، وأمرا أن يستحمي الإنسان بدنه عن العرق بالغسل ، يستطيع الناس أن ينظفوا أبدانهم من الإفرازات الجسمية الغزيرة ويتلفوا الجراثيم بالوضوء التى يأمرها القرآن والحديث مرات وكرات كل يوم .

قد أوجب القرآن والسنة الاستحمام عقب الجماع أو الاحتلام للرجال والنساء وبعد انتهاء دورة الحيض والنفاس للنساء وللموت ولمن اعتنق الإسلام .

قال الله تعالى : (يَا أيهَا الَّذينَ أمنُواْ إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاة فاغْسلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأيديَكُمْ إلى الْمَرَافق وَأمسَحُواْ برُؤُوسكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلى الْكَعْبَين وَإن كُنتُمْ جُنُبًا فاطَّهَّرُواْ وَإن كُنتُمَ مَّرْضَى أوعَلَى سَفَرَ أوجَاء أحد مِّنكُم مِّنَ الْغَائطَ أولامستُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعيدًا طَيِّبًا فَامسَحُواْ بوُجُوهكُمْ وَأيديكُم مِّنْهُ مَا يُريدُ اللّهُ لَيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَج وَلَكن يُريدُ ليُطَهَّرَكُمْ وَلُيتمَّ نَعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [1] .

قال الله تعالى : (يَا أيهَا الَّذينَ أمنُواْ لا تَقْرَبُواْ الصَّلاة وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إلا عَابري سَبيل حَتَّى تَغْتَسلواْ وَإن كُنتُم مَّرْضَى أوعَلَى سَفر أوجَاء أحد مِّنكُم مِّن الْغَائط أولامَستُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجدُواْ مَّاء فَتَيَمَّمُواْ صَعيدًا طَيِّبًا فَأمسَحُواْ بوُجُوهكُمْ وَأيديكُمْ إنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفورًا) [2] .

قال الله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحيض قُلْ هُوإذى فَاعْتَزلُواْ النِّسَاء في الْمَحيض وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فإذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ منْ حَيْثُ أمركُمُ اللّهُ إنَّ اللّهَ يُحبُّ التَّوَّابينَ وَيُحبُّ الْمُتَطَهِّرينَ) [3] .

وقد ثبت في الطب الحديث أن الجسم الإنساني يفقد شيئاً من حيويته ونشاطه بعد الانتهاء من الاتصال الجنسي ولا يعيدهما إلا غسل الجسم كله ودلكه بالماء كما أنه يجب على المرأة بعد أن تطهر من دم الحيض أن تغسل وتزيل ما عليها من قاذورات الدم ، وهو يرد لها حيويتها ونشاطها من جديد [4] .

ينصح الطب الحديث بالاغتسال بعد الجماع للأسباب الآتية [5] :

١. لأنه ينشط الدورة الدموية عند الرجل والمرأة خاصة أن الجماع يؤدى

دار ابن الجوزي ، القاهرة .

[1] سورة المائدة : ٦ .

[2] سورة ا لنساء : ٤٣ .

[3] سورة البقرة : ٢٢٢ .

[4] د . أحمد شوقى الفنجرى ، الطب الوقائي في الإسلام .

[5] موسوعة الإعجاز العلمي ، ص : ٩٢٨ .

إلى وهن شديد في الجهاز العصبي بعد الحصول على اللذة .
٢. إن الغسل يساعد على تنشيط الجسم والروح المعنوية خاصة بعد عملية الجماع التى تسبب وهناً نفسياً ورغبة في النوم وكآبة نفسية عند بعض الأشخاص .
٣. إن الجلد أثناء عملية القذف يفرز من خلال مساماته عرقاً ذا تركيز عال بسمومه ، ويمكن أن يعود فيمتصها ويتأذى بذلك ، والاغتسال يطهر الجلد ومساماته من هذه السموم .
٤. إن التفكير بوجوب الغسل بعد الجماع يجبر المرء على الاعتدال في طلب الجماع فيحافظ بذلك على قدرته الجنسية لعمر أطول ؛ قال العلماء : إن الإنسان يصرف من عناصره الحيوية أثناء الجماع ما يقدر بما يحتويه نصف لتر من الدم .

ومن السنة النبوية الاستعجال في غسل الجنابة لأنه يسرع إلنشاط الفائت والقوة الذاهبة ، حرض الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً لمن لم يتمكن من الغسل عقب الجماع على أداء الوضوء لأنه يفيد فائدة الغسل الصغير .

عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيرقد أحدنا وهو جنب ؟ قال : نعم ؛ إذا توضأ أحدكم فليرقد وهو جنب [١] .

يسن الغسل أيضاً بين الجماعين كما جاء به الحديث ، عن أبى سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ [٢] .

يُفهم من هذا النوع من الغسل والوضوء أن القرآن والحديث قد يفرض النظافة على المرء أي لا بد عليه أن يكون رجلاً نظيفاً ونشيطاً إن لم يكن كذلك ، وهو يستحق العذاب من الله تعالى ، معنى القول أن غسل الجنابة وأداء الوضوء فرض عين على المسلم ، وهما يزيلان القاذورات والخبائث من الجسم ، وإن لم يغسل الجنب لا بد عليه أن يعاني عقاباً شديداً من الله .

هناك أحاديث كثيرة عن الاغتسال المفروض والمسنون منها ما يلي :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها قد وجب الغسل [٣] .
- عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

---

[١] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٢٧٨ .
[٢] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٤٦٦ .
[٣] صحيح البخارى ، رقم الحديث : ٢٨٢ .

يغتسل من أربعة ؛ من الجنابة ويوم الجمعة ومن الحجامة وغسل الميت [1] .

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه في أصول الشعر ثم حفن على رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه [2] .
- عن عائشة رضي الله عنها أن امرأةً من الأنصار قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف أغتسل من المحيض ؟ قال : خذي فرصةً ممسكة وتوضئي ثلاثا ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استحي فأعرض بوجهه أو قال توضئي بها فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم [3] .

هذا هو من الغسل المفروض ، وكذلك ذكر الحديث النبوي الاغتسالات التي قد سنها رسول صلى الله عليه وسلم بمناسبات متنوعة أحاديثها كما يلي :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل رأسه وجسده [4] .
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو قائم على المنبر : من جاءكم الجمعة فليغتسل [5] .
- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالي فيأتون في العباء ويصيبهم الغبار فتخرج منهم الريح فأتى رسول لله صلى الله عليه وسلم إنسان منهم وهو عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا [6] .

الغسل للجمعة أمر مؤكد ليس بواجب ، يقول الشيخ سيد سابق " لما كان يوم الجمعة يوم اجتماع للعبادة والصلاة ، أمر الشارع بالغسل وأكده ليكون المسلمون في اجتماعهم على أحسن حال من النظافة والتطهير . . . والمراد بالوجوب تأكيد استحبابه " [7] كما وقع عليه اجماع الفقهاء ويستحب الغسل للعيدين ولدخول مكة وللإحرام والوقوف في عرفة أيضا .

(للبحث صلة)

---

[1] سنن أبوداود ، رقم الحديث : ٢٧٤٨ .
[2] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٤٧٤ .
[3] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٣٠٤ .
[4] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٨٤٧ .
[5] صحيح مسلم : ١٣٩٤ .
[6] صحيح البخاري : ٨٥١ .
[7] سيد سابق ، فقه السنة : ٣٢/١ .

بعض قضايا معاصرة من مفطرات الصوم

(الحلقة الأولى)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

هناك بعض قضايا معاصرة مستجدة متداولة تحتاج إلى تقديم حلول شرعية للناس ، لكي يكون صيامهم صحيحاً تاماً للنجاح في الآخرة ، وها هي :

(١) حكم السعوط في الأنف :

الأنف منفذ إلى الحلق وما وراءه قطعاً ، ومنفذ الدماغ إلى الدماغ بناءً على تحقيق الفقهاء الأقدمين ، ثم التحقيق عندهم أن بين الرأس والمعدة منفذاً أصليّاً ، فما وصل إلى جوف الرأس يصل إلى جوف البطن لا محالة (رد المحتار : ٣٧٦/٣) .

والمعلوم أنه في كثير من العمليات الجراحية يُدخَل الأنبوب من الأنف ، يكون طرفه بالمعدة وطرفه الآخر خارجاً من الأنف ، يوصل منه الغذاء إلى المعدة . ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المبالغة في الوضوء للصائم ، كما روى لقيط بن صبرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " بَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ ، إلا أَنْ تَكُونَ صَائِماً " (أخرجه أبو داود في الصوم ، بَابُ الصَّائِمِ يَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنَ الْعَطَشِ وَيُبَالِغُ فِي الاسْتِنْشَاقِ ، برقم : ٢٣٦٦ ، قال الأرنؤط : حديث صحيح ، والترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ مُبَالَغَةِ الإِسْتِنْشَاقِ لِلصَّائِمِ ، برقم : ٧٨٨ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، والنسائي في الطهارة ، الْمُبَالَغَةُ فِي الاسْتِنْشَاقِ ، برقم : ٨٧ ، والحاكم في المستدرك برقم : ٥٢٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي بقوله : صحيح) ؛ لذا منع الفقهاء من مبالغة الاستنشاق للصائم احتياطاً ؛ لئلا يصل الماء إلى الحلق ثم منه إلى المعدة ؛ فقالوا : " والصائم لا يبالغ حفظاً للصوم عن الفساد " (حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح : ٦٤/١) .

قالت الحنفية في القضية المبحوث فيها : إن ما يدخل من الأنف

* عميد كلية البحث والتحقيق بجامعة العلوم ، غرها – غجرات .

مفطر إذا بلغ ما وراء الحلق – وهو السعوط – أو أسعطه إياه ، كما ذكره العلامة ابن نجيم المصري وغيره في صدد نواقض الصوم (البحر الرائق : ٨٥/٢ ، والهندية : ٢٠٤/١ ، ورد المحتار : ٣٧٣/٣) ، وتحدث خاتمة المحققين العلامة ابن عابدين الشامي تعليقاً على قول المتن (أو استعط) : وَالسَّعُوطُ الدَّوَاءُ الَّذِي صُبَّ فِي الأَنْفِ وَأَسْعَطَهُ إِيَّاهُ مُوجِب للإِفْطَار والقضاء ؛ لأن السعوط يقع بدون ابتلاع ، والابتلاع هو الصورة . (رد المحتار : ٣٧٦/٣) .

والمالكية يرون مرور المائع من الحلق عبر الأنف موجباً للفطر ، وإن لم يكن مائعاً بل جامداً من الأشياء ؛ فلا يفسد الصوم بوصوله إلى الحلق ، حتى يصل إلى المعدة (الشرح الصغير : ٦٠٨/١) . يقول العلامة الْبُرْزُلِيُّ المالكي : " مَنْ رَعَفَ فَأَمْسَكَ أَنْفَهُ فَخَرَجَ الدَّمُ مِنْ فِيهِ وَلَمْ يَرْجِعْ إلَى حَلْقِهِ فَلا شَيْئَ عَلَيْهِ ؛ لأَنَّ مَنْفَذَ الأَنْفِ إلَى الْفَمِ دُونَ الْجَوْفِ ، فَهُوَ مَا لَمْ يَصِلْ إلَى الْجَوْفِ لا شَيْئَ فِيهِ " . (مواهب الجليل : ٣٤٧/٤) . وفي الموسوعة الفقهية الكويتية نقلاً عن جواهر الإكليل : والمذهب أن الواصل إلى الحلق مفطر ولو لم يجاوزه إن وصل إليه ، ولو من أنف أو عين نهاراً " . (الموسوعة الفقهية الكويتية : ٣٦/٢٨ ، معزياً إلى جواهر الإكليل : ١٤٩/١) .

وأما الشافعية فقالوا : السعوط مفطر بلا خلاف إذا وصل إلى الدماغ ؛ فقال في زاد المحتاج (٥١١/١) : " مفطر بالاستعاط راجع للدماغ " . وقال الإمام النووي : " قَالَ أَصْحَابُنَا : وَمَا جَاوَزَ الْخَيْشُومَ فِي الاسْتِعَاطِ فَقَدْ حَصَلَ فِي حد الْبَاطِنِ وَحَصَلَ بِهِ الْفِطْرُ ، قَالَ أَصْحَابُنَا : وَدَاخِلُ الْفَمِ وَالأَنْفِ إلَى مُنْتَهَى الْغَلْصَمَةِ وَالْخَيْشُومِ لَهُ حُكْمُ الظَّاهِرِ " . (المجموع : ٣١٣/٦) .

وذكر الشيخ الشربيني : أن الاستعاط مفطر سواء اشترطنا أن يصل إلى الجوف الذي فيه قوة تحيل الدواء أو لم نشترط ذلك ؛ لأن الاستعاط يصل إلى باطن الدماغ الذي فيه قوة " . (مغني المحتاج : ٤٢٨/١) .

والحنابلة جعلوا السعوط مفطراً للصوم أيضاً ؛ لأنه يصل إلى الدماغ كما جاء في الشرح الكبير : ويُفْطِرُ بكلِّ ما أدْخَلَه إلى جَوْفِه ، أو مُجَوَّفٍ في جَسَدِه ، كدِماغِه ، وحَلْقِه ، ونحوِ ذلك ، ممّا يَنْفُذُ إلى مَعِدَتِه ، إذا وَصَل باخْتِيارِه ، وكان مِمَّا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ منه ، سَواءٌ وَصَل

مِن الفَمِ على العادَةِ أو غيرِها ، كالوَجُورِ ، واللَّدُودِ ، أو مِن الأنْف ، كالسَّعُوطِ " . (الشرح الكبير مع متن المقنع : ٤١١/٧ ، راجع أيضاً : المغني لابن قدامة : ٣٥٣/٤) .

والحاصل أن المذاهب الأربعة المتبعة في العالم كله ، اتفقت على أن السعوط مفطر إذا تجاوز الأنف ، إلا أنهم اختلفوا في تعليله ؛ فعلّل الحنفية بنفاذه إلى المريئ ، والشافعية والحنابلة بأن السعوط مفطر لصعوده إلى الدماغ ، والعلم التجريبي يؤيد وجهة النظر الأولى ، كذلك يفطر الصوم بالاتفاق إذا نزل في الحلق ودخل في المعدة .

(٢) حكم إلقاء شيئ في العين :

اختلف الفقهاء في قضية العين ، أيصل منها ما أُلقي فيها إلى الحلق كمنفذ أو كتشرب من المسام ؛ فيرى الحنفية أن الكحل لا يفسد الصوم ولا يكره في نهار رمضان ، كما قال العلامة الحصكفي عادّاً لما لا يفطر الصوم : " أو اكتحل أو احتجم ، وإن وجد طعمه في حلقه " . ويعلل المحقق ابن عابدين الشامي بقوله : " لأَنَّ الْمَوْجُودَ فِي حَلْقِهِ أَثَرٌ دَاخِلٌ مِنْ الْمَسَامِّ الَّذِي هُوَ خَلَلُ الْبَدَنِ وَالْمُفْطِرُ إنَّمَا هُوَ الدَّاخِلُ مِنْ الْمَنَافِذِ لِلاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّ مَنْ اغْتَسَلَ فِي مَاءٍ فَوَجَدَ بَرْدَهُ فِي بَاطِنِهِ أَنَّهُ لا يُفْطِرُ " . (الدر المختار ورد المحتار : ٣٦٧/٣) .

وفي الفتاوى الهندية من كتاب الصوم :

" وَلَوْ أَقْطَرَ شَيْئاً مِنْ الدَّوَاءِ فِي عَيْنِهِ لا يُفْطِرُ صَوْمَهُ عِنْدَنَا ، وَإِنْ وَجَدَ طَعْمَهُ فِي حَلْقِهِ ، وَإِذَا بَزَقَ فَرَأَى أَثَرَ الْكُحْلِ ، وَلَوْنَهُ فِي بُزَاقِهِ ، عَامَّةُ الْمَشَايِخِ عَلَى أَنَّهُ لا يُفْسِدُ صَوْمَهُ ، كَذَا فِي الذَّخِيرَةِ ، وَهُوَ الأَصَحُّ هَكَذَا فِي التَّبْيِينِ " . (الهندية : ٢٠٣/١ ، راجع أيضاً : البحر الرائق : ٤٧٦/٣ ، وتحفة الملوك : ١٤٤/١ ، والجامع الصغير : ١٣٩/١ ، ومراقي الفلاح ، ص : ٢٤٦ ، والهداية : ١٢٠/١) .

اتضح من ذلك أن الحنفية لا يرون العين منفذاً إلى الحلق على الراجح .

وسوّى المالكية بين الآذان والعين ، واعتبروا العين منفذاً إلى الحلق ، فقالوا : إن كان وصول المائع للحلق من غير فم كعين (المدونة الكبرى : ١٧٧/١) . ونصّ العلامة الدسوقي المالكي بأن تحقق عدم وصوله للحلق من هذه المنافذ فلا شيئ عليه . (المجموع للنووي : ٣١٥/٦) .

وصرّح الإمام مالك بأن الكحل إن وصل إلى الحلق فسد الصوم ووجب القضاء ، كما جاء في المدونة الكبرى : " قُلْتُ : فَهَلْ كَانَ مَالِكٌ يَكْرَهُ الْكُحْلَ لِلصَّائِمِ ؟ فَقَالَ قَالَ مَالِكٌ : هُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ ، مِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ ذَلِكَ حَلْقَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يَدْخُلُ ذَلِكَ حَلْقَهُ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَدْخُلُ ذَلِكَ حَلْقَهُ فَلا يَفْعَلُ . قُلْتُ : فَإِنْ فَعَلَ أَتَرَى عَلَيْهِ الْقَضَاءَ وَالْكَفَّارَةَ ؟ فَقَالَ قَالَ مَالِكٌ : إِذَا دَخَلَ حَلْقَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ الْكُحْلُ إِلَى حَلْقِهِ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ " . (المدونة الكبرى : ١٧٧/١) .

وثبت من ذلك أن المالكية يرون العين منفذاً إلى الحلق ؛ فإن أقطر في العين أو اكتحل بها في نهار رمضان أفطر ووجب عليه القضاء إذا وجد طعمه في الحلق .

وللشافعية في هذا الأمر وجهان : أحدهما أنه لا يفطر ، وصححه الإمام الغزالي ، واختاره الإمام النووي ؛ لأنه لا منفذ بين الأذن والدماغ ، وإنما يصله من المسام (المجموع : ٣١٥/٦) . ولأن العين ليست بجوف . (روضة الطالبين : ٣٥٧/٢) .

وأما الحنابلة فهم يرون القناة بين العين والمعدة واصلة ، فما بلغ الحلق من العين كالكحل يفطر الصوم ويجب القضاء ؛ فيقول الفقيه الحنبلي النابغ ابن قدامة : " إن اكتحل فوصل الكحل إلى حلقه أفطر ؛ لأن العين منفذ ، ولذلك المكتحل يجد مرارة الكحل في حلقه وتخرج أجزاؤه في نخامته ، وإن شك في وصوله لكونه يسيراً ، كالميل ونحوه ولم يجد طعمه لم يفطر " . (الكافي : ٢٣٩/٢ – ٢٤٠) .

فالحاصل أن الحنفية والشافعية لا يرون العين منفذاً إلى الحلق ، بخلاف المالكية والحنابلة ، فهم يرون القناة بين العين والمعدة واصلة ؛ فمن أقطر في عينيه أو في إحداهما في نهار رمضان أو اكتحل أفطر وعليه القضاء عند المالكية والحنابلة ، ولا يفطر عند الحنفية والشافعية .

فمن رأى الإفطار من القطرة في العين والاكتحال ، قاسه على الأكل والشرب ، أي أن فساد الصوم بالأكل والشرب ليس تعبدياً ؛ بل منوط بوصول شيئ من الخارج إلى المعدة ، وذلك يتحقق في قضية العين أيضاً أنه إذا بلغ الدواء أو الكحل عن طريقها إلى المعدة فسد الصوم .

ومن لا يرى فساد الصوم من القطرة في العين والاكتحال استدلوا بحديثين ، روى أحدهما أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه قال : جَاءَ رَجُلٌ

إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : اشْتَكَتْ عَيْنِي ، أَفَأَكْتَحِلُ وَأَنَا صَائِمٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . (أخرجه الترمذي في الصوم ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُحْلِ لِلصَّائِمِ ، برقم : ٧٢٦ ، وقال : حَدِيثُ أَنَسٍ حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ ، وَلاَ يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا البَابِ شَيْئٌ ، وَأَبُو عَاتِكَةَ يُضَعَّفُ) .

والحديث الثاني روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " اكْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ صَائِمٌ " . (أخرجه ابن ماجه في الصيام ، بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّوَاكِ وَالْكُحْلِ لِلصَّائِمِ ، برقم : ١٦٧٨ ، قال الأرنؤوط : إسناده ضعيف لضعف بقية – وهو ابن الوليد – ، ولضعف الزبيدي – واسمه سعيد بن عبد الجبار ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، برقم : ٤٧٩٢ ، قال المحقق حسين سليم أسد : إسناده ضعيف) .

وقد تكلم الحافظ ابن حجر رحمه الله على حديث عائشة رضي الله عنها بقوله : " قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ مِنْ رِوَايَةِ بَقِيَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ هِشَامٍ ، وَسَعِيدٌ ضَعِيفٌ قَالَ وَقَدْ اتَّفَقَ الْحُفَّاظُ عَلَى أَنَّ رِوَايَةَ بَقِيَّةَ عَنْ الْمَجْهُولِينَ مَرْدُودَةٌ انْتَهَى . وَلَيْسَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ بِمَجْهُولٍ بَلْ هُوَ ضَعِيفٌ ، وَاسْمُ أَبِيهِ عَبْدُ الْجَبَّارِ عَلَى الصَّحِيحِ وَفَرَّقَ ابْنُ عَدِيٍّ بَيْنَ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الزُّبَيْدِيِّ فَقَالَ هُوَ مَجْهُولٌ ، وَسَعِيدِ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ فَقَالَ هُوَ ضَعِيفٌ وَهُمَا وَاحِدٌ ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ محمد بن عبد اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْتَحِلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِيهِ : هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَقَالَ فِي مُحَمَّدٍ : إنَّهُ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ وَكَذَا قَالَ الْبُخَارِيُّ وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الضُّعَفَاءِ " . (تلخيص الحبير : ٤١٢/٢ ، رقم : ٨٨٥) .

وأشار الإمام النووي في هذا المقتبس إلى حديث أبي رافع عن أبيه رواه الطبراني في معجمه والبيهقي في سننه أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتحل بالإثمد وهو صائم . (المعجم الكبير للطبراني ، باب الألف ، رقم : ٩٣٩ ، السنن الكبرى ، باب الصائم يكتحل ، رقم : ٨٠٤٧) ؛ ولكن ضعّفه الهيثمي من قبل إسناده ؛ لأن حبان ومحمد بن عبيد راويان ضعيفان (مجمع الزوائد ،باب الكحل للصائم ، رقم : ٤٩٧١) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان وضعّفه ، وذكره ابن الجوزي في

الموضوعات وتكلم على تضعيفه الحافظ الزيلعي في كتابه الشهير " نصب الراية " (كتاب الصيام ، باب ما يوجب القضاء والكفارة : ٤٥٥/٢) مفصلاً .

واتضح مما سبق أن الأحاديث التي وردت في صدد الاكتحال في نهار رمضان ، كلها ضعيفة غير ثابتة عن طريق صحيح . ثم من لا يرى فساد الصوم بالاكتحال والسعوط في العين ، يتردد في أن من العين منفذاً فطرياً يصل إلى الحلق ، موجود أم لا ؟ لكن علماء الطبيعية الطبية أثبتوا بالتحقيق أن في العين منفذاً يصل إلى الحلق بسرعة ؛ فذهب كثير من العلماء المعاصرين إلى فساد الصوم بالدواء المائع في العين ، وكراهة الاكتحال في نهار رمضان ، ويؤيده حديث ضعيف مروي عن معبد بن هَوذة رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه أمرَ بالإثمدِ المُرَوَّحِ عندَ النومِ ، وقال : " لِيتَّقِهِ الصَّائِمُ " (وأبو داود في الصيام ، باب في الكحل عند النوم ، برقم : ٢٣٧٨ . قال الأرنؤوط : إسناده ضعيف ؛ لأن عبد الرحمن بن النعمان بن معبد بن هوذة ضعيف ، ووالده النعمان بن معبد مجهول) . وقالوا بعدم فساد الصوم بالاكتحال إذا تحقق عدم الوصول للحلق ، وإن تحقق وصوله إلى الحلق بأن يجد الصائم طعمه في حلقه أفسد الصوم ، ورجحوا رأي المالكية والحنابلة . وممن رجحوا فساد الصوم بإلقاء المائع في العين والاكتحال بها الذي تحقق وصوله للحلق بحيث وجد الصائم طعمه في حلقه : الشيخ محمد المختار السلامي – مفتي الجمهورية التونسية (مجلة الفقه الإسلامي ، جدة ، العدد العاشر ، الجزء الثاني ، ص : ٣٩ ، معزياً إلى المفطرات في مجال التداوي للدكتور البار ، ص : ١٣) ، والشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، وقال : قد ذهب جمع من أهل العلم إليه (المنتقى من فتاوى الفوزان : ١٠٤/٤) . وقال في موضع من فتاواه : " وقد قال الكثير من أهل العلم بمنع الكحل للصائم ، أو أن يضع شيئاً بعينه ؛ كالقطرة وغير ذلك ؛ لأن العين منفذ ويتسرب منها الشيئ إلى الحلق ، دون أن يستطيع الإنسان منع ذلك " . (المنتقى من فتاوى الفوزان : ١٢٩/٣) ، وبه قال أستاذي المبجل المحقق – المعروف بفقيه العصر في الهند – فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني (أمين عام لمجمع الفقه الإسلامي – الهند ، وبه آخذُ نظراً إلى الأدلة السالفة بهذا الخصوص .

(للبحث صلة)

إطلالة على موقف المستشرقين من القرآن الكريم

بقلم : د . محمود حافظ عبد الرب مرزا*

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فمن المسلّمات أن المستشرقين ومنذ بزوغ فجر الإسلام لا يزالون يبذلون قصارى جهدهم من أجل تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وذلك بغية الحد من انتشار الإسلام في مختلف بقاع العالم . ولقد ركّز المستشرقون جُلّ تركيزهم على مصدر هذا الدين وأساسه ، ألا وهو القرآن الكريم فسعوا بكل ما أوتوا من قوة وجهد لهدم هذا البنيان القوي بالطعن والتشكيك في مصدره وجمعه وتدوينه وسوره وآياته ، ولم يدخروا وسيلة أو منهجاً إلا وظفوه لذلك من خلال ما يسمى بـ : " وضع السم في الدسم " . وبما أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بالحفاظ على القرآن الكريم قائلاً : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [1] ، فإن المساس به بات أمراً مستحيلاً ، فلا مجال لتحريفه أو الانتقاص منه بشكل مباشر ، فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى سلاح آخر ، ألا وهو التلاعب بمعانيه من خلال إعداد ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى لغاتهم المختلفة ، والعمل على تزييف الحقائق وترجمة نصوصه ترجمة غير صحيحة عمداً وحقداً وعناداً ، حتى تتحقق غايتهم وأهدافهم الشرسة المتمثلة في تنفير الناس أو على الأقل شعوبهم منه بكل سهولة .

فعلى الرغم من أن المستشرقين يتصفون ، وعلى حد زعمهم بقيامهم بإجراء دراسات وأبحاث موضوعية وبناءة مبنية على أسس علمية متينة ، وذلك في مختلف مجالات الحياة ، إلا أننا نجدهم يتخلون حتى عن الضوابط المنهجية البسيطة لإجراء الأبحاث العلمية والقواعد التنظيمية ، وكأنهم لا صلة لهم بالأبحاث العلمية النزيهة ، وذلك حينما يتعلق الأمر

* أستاذ اللغة العربية وآدابها ، جامعة الله آباد (الهند) .

[1] سورة الحجر ، آية رقم : ٩ .

بالإسلام أو القرآن الكريم أو سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ حيث كان من دأب طائفة كبيرة من المستشرقين البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية ، وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية ، ناهيك عن إثارة شبهات حول الإسلام ومصادره من حين لآخر .

ومن بين هؤلاء المستشرقين الذين ارتكبوا مثل هذه الخيانة العلمية والفكرية ، عدد لا يحصى ، فمن بين مترجمي القرآن الكريم الغربيين ، ألكسندر روس (Alexander Ross) (١٥٩٢م – ١٦٥٤م) ، وجورج سيل (George Sale) (١٦٩٧م – ١٧٣٦م) ، وريتشارد بيل (Richard Bell) (١٨٧٦م – ١٩٥٢م) ، وإيه . جيه . دروغي (A. J. Droge) (مواليد عام ١٩٥٣م) ، وجيه . إيم . رودويل (J. M. Rodwell) (١٨٠٨م – ١٩٠٠م) ، وجي . إيس . رينولدز (G. S. Reynolds) (١٩٣٦م – ١٩٨٧م) ، وإين . جيه . داوود (N. J. Dawood) (١٩٢٧م – ٢٠١٤م) وغيرهم . ومن بين الأدباء الذين كان شغلهم الشاغل طمس الهوية الإسلامية الربانية ومسخها ، هم : دانتي (Dante) (١٢٦٥م – ١٣٢١م) ، ووليام شكسبير (William Shakespeare) (١٥٦٤م – ١٦١٦م) ، واللورد بيكون (Bacon) (١٥٦١م – ١٦٢٦م) ، وهمفري بريدكس (Humphery Prideaux) (١٦٤٨م – ١٧٢٤م) ، وفولتير (Volatire) (١٦٩٤م – ١٧٧٨م) ، وغوته (Goethe) (١٧٤٩م – ١٨٣٢م) ، وآنا ماريا جونز (Anna Maria Jones) (١٧٤٨م – ١٨٢٩م) ، وغيرهم .

وبغض النظر عن الدور الذي اضطلع فيه المستشرقون للإساءة إلى الإسلام وتنفير الناس منه ، إلا أنه ظهر على مسرح الوجود بعض العلماء والمحققين الذين امتازوا برحابة الصدر وسعة النظر وسلامة القلب ، فسعوا إلى أداء الأمانة العلمية على خير وجه ، مع أنهم وقعوا أيضاً فريسةً لبعض المغالطات ، سواء فيما يتعلق بالقرآن الكريم أو النبي صلى الله عليه وسلم أو الإسلام الذي بلّغه للناس ، وعلى رأسهم ثوماس كارليل (Thomas Carlyle) (١٧٩٥م – ١٨٨١م) ، ومايكل هارت (Michael Hart) (مواليد عام ١٩٣٢م) ، وجون أدير (John Adair) (مواليد عام ١٩١٣م) ، ووليام إيم . وات (W. M. Watt) (١٩٠٩م – ٢٠٠٦م) وغيرهم .

لقد بات أمراً ملحاً على المسلمين وخاصةً المثقفين منهم القيام بدراسة جادة وموضوعية بغية إدراك مساعي العلماء الغربيين وكيف أصبح شغلهم الشاغل الإساءة إلى الإسلام وتشويه صورته ، وطمس هويته ، وذلك لدحض آرائهم الخاطئة وتفنيدها والكشف عن دسائسهم ، وضرورة وقف التيار الغربي الزاحف في مجال القضايا القرآنية ، وإبراز الحقائق التي تتعلق بالإسلام ، والعمل على إعداد جيل يرد عليهم بألسنتهم وبطريقة علمية موضوعية وبأسلوب علمي نزيه ، حتى لا يخلو شبر من العالم بأسره بعيداً عن الحقائق راضخاً تحت وطأة التنفير من الإسلام بدون علم ، يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله :

" إنه ولسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة ، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة . . . " [1] .

لم يعد يخفى على كل ذي بصيرة الدور الحيوي الذي تؤديه عملية الترجمة في نقل حضارات الشعوب وثقافاتها ، ناهيك عن تعزيز التفاهم بين الشعوب العالمية المختلفة . وغني عن القول أيضاً بأن الترجمة في حد ذاتها قد تكون أداة بناءٍ وإصلاح ، وذلك إذا ما التزم المترجم بالأمانة العلمية ولم يقم بالخيانة فيها ، واختار ما يصلح للترجمة اختياراً سليماً ، وقد تكون الترجمة معول هدم إذا لم تستغل في نقل الفضيلة وتجنب الرذيلة والتركيز على ما ينفع الناس ،لأنه وفي بعض الأحيان ، نجد أن خطأً في الترجمة من شأنه إشعال فتيل الحرب بين البلدان العالمية ، وقد يجعل القنابل النووية تتساقط على المدن لتعمل على نشر الفساد في الأرض وتهلك الحرث والنسل .

لقد سلّط كبار الباحثين الضوء على مجمل السياسات والأهداف والغايات من وراء الترجمة ؛ بحيث تعكس الترجمة إلى حد ما آراء المترجم نفسه فضلاً عن أفكاره ، واتجاهاته ، واعتقاداته . ولقد تأثرت سلسلة

[1] الإسلام والمستشرقون ، دار المصنفين أكاديمية شبلي ، أعظم جراه ، يوبي ، الهند ، ص ٩ .

ترجمات معاني القرآن الكريم بهذه السياسة أيضاً . ومنذ ظهور أول ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم عام ١٦٤٩م إلى حيز الوجود ، فإنه ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا ، كانت معظم الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم عُرضةً للتعصب الأيديولوجي . وصدر حتى عام ٢٠١٨م حوالي ١٥٠ ترجمة للقرآن الكريم ، من بينها ١٥ ترجمة تعتبر ثمرة لجهود المستشرقين ؛ بحيث لا تكمن أهمية هذه الترجمات من حيث الكمية فحسب ، بل من خلال تأثيرها الراسخ على القرّاء الملمين باللغة الإنجليزية [١] .

وبما أن الترجمات الغربية تقوم بنشرها المطابع الغربية الشهيرة ، تجدها تتوافر بكل سهولة في معظم المكتبات ومحلات بيع الكتب . ومنذ القرون الوسطى وحتى الآن ، كان موقف الغرب تجاه القرآن الكريم يتسم بالكراهية والعداء والحقد المنطوي على المناظرات والجدل ، وأنكر القسيسون الغربيون وأصحاب الكنائس العقيدة الإسلامية المتمثلة في أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ، بل ظلوا متمسكين بآرائهم المختلفة فيما يخص القرآن الكريم ، والتي تنم عن مكائدهم الفاسدة وسعيهم الدؤوب لأجل تنفير الناس منه والتخفيف أو الاستهزاء منه بغية بلبلة الأفكار وتضليل الناس . ومن ادّعاءاتهم الباطلة بخصوص القرآن الكريم ما يأتي :

١. القرآن الكريم هو مجرد مجموعة من أفكار محمد صلى الله عليه وسلم المبعثرة وعقائده .
٢. القرآن الكريم ليس محرفاً عن الكتاب المقدس أو مقتبساً منه فحسب ، بل مسروق منه ، لأن معظم أجزائه تشمل الأحداث المندرجة فيه .
٣. القرآن الكريم يخلو من كافة الأنظمة ، ومحتوياته معقدة وغير مفهومة .
٤. القرآن الكريم يُحرّض على القتال والحرب ضد غير المسلمين وخاصة اليهود والنصارى .
٥. إنه كتاب تابع لفرقة مسيحية ضالة ومضلة .

---

[١] القدوائي ، البروفيسور عبد الرحيم ، الإسلام في عيون الغرب (اسلام اہل مغرب کی نظر میں) بالأردية ، إدارة التحقيق والتصنيف الإسلامي ، علي جراه ، ٢٠٢٣م ، ص ١٠١ .

٦. أسلوب القرآن الكريم ركيك جداً ، بل لا يعدل أسلوب أدباء العصر الجاهلي ، فضلاً عن الأخطاء النحوية واللغوية والبلاغية فيه .

وتتضح هذه التعصبات في ترجمات القرآن الكريم الغربية بكل وضوح ، مما يُحرم القرّاء الملمين باللغة الإنجليزية من الإلمام بجوهر رسالة القرآن الكريم وإدراك إعجازه ومعرفة غاياته . وبسبب عدائهم للإسلام ، أخفى المستشرقون الحقائق ، وشنوا حملات الافتراءات ضده .

لقد كان ألكسندر روس (Alexander Ross) ، هو أول من قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية عام ١٦٤٩م [١] ، وسميت ترجمته بـ " The Alcoran of Mahomet " أي (قرآن محمد) ، وذلك جرياً على عادة المستشرقين ، ليوهم القارئ بأن القرآن الكريم ليس بوحي من الله سبحانه وتعالى ، بل هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حيث كان هذا المترجم يتولى منصب وزير الشؤون الدينية لملك إنجلترا ، تشارلز الأول (Charles I) . وقبل أيام من نشر هذه الترجمة ، قامت الحكومة بفرض الحظر عليها خوفاً من نيل القرآن الكريم قبولاً واسعاً لدى المجتمع البريطاني . ولإزالة هذا الخوف قام روس بإضافة بعض الملحقات في ترجمته لتهدئة روع الحكومة والقرّاء على حد سواء ، مفادها أن دين الأتراك لن يكون له أي تأثير على المجتمع المسيحي الراسخ في إنجلترا بسبب زيفه الواضح . وعلاوة على ذلك ، قام بإضافة ملحقين وعنوانهما : " حياة محمد ووفاته " ، و " التفسير لمن يشتاق إلى قراءة القرآن للحكمة والنصيحة " . ولا يشتمل هذان الملحقان إلا على اتهامات باطلة وبهتان عظيم [٢] .

ومما لا ريب فيه ، فإن روس قد ارتكب خطأين فادحين آخرين ، أولاً : نسب تأليف القرآن الكريم إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ثانياً : عرّف المسلمين والأتراك بكونهما مترادفين ، ووصف القرآن الكريم بأنه كتاب ديني يخص الأتراك . ووفقاً لهنري ستوب (Henry Stubbe) ، الفيزيائي والكاتب البريطاني فإن ترجمة روس مليئة بالأخطاء ؛ حيث قام

---

[١] القدوائي : البروفيسور عبد الرحيم ، الإسلام في عيون الغرب (بالأردوية) ، ص ١٦٥ .
[٢] القدوائي : الإسلام في عيون الغرب (بالأردوية) ، ص ١٠٢ .

بتغيير أو حذف بعض الآيات القرآنية . والمثير للدهشة هو أن المستشرقين اللاحقين مثل سيل (Sale) وزويمر (Zwemer) وغيرهما أكدوا أن روس لم يكن يعرف العربية إطلاقاً . علماً بأن حقيقة ترجمة روس هي أنه قام بنقل ترجمة أندريه دو راير (Andre du Ryer) الفرنسية الصادرة عام ١٦٤٧م إلى الإنجليزية فقط [١] . ويُعدّ عمل روس ممثلاً مثالياً لمؤلفات المستشرقين المعادية للإسلام ، بمعنى أن كل عيوبهم واضحة فيه ، مثل الجهل بمصادر الإسلام الأساسية ، والعقل الجدلي ، ومجرد الخبث والحقد والعداء للإسلام والمسلمين ، وبذل كافة الجهود الممكنة لتضليل القرّاء وتنفيرهم من الإسلام .

ويتمثل هدف جورج سيل (George Sale) (١٦٩٧م – ١٧٣٩م) من ترجمة القرآن الكريم في : أن " هناك حاجة ماسة لتصحيح خطأ أولئك الذين يظنون أن القرآن الكريم يحتوي على شيئ مفيد وإيجابي ، مع أن القرآن الكريم ليس إلا مجرد كذب وافتراء " [٢] ، والعياذ بالله ، حيث يقول جورج سيل :

" أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن ، والمخترع الرئيسي له ؛ فأمر لا يقبل الجدل ، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المحاولة التي حصل عليها من غيره في خطته لم تكن معاونة يسيرة ، وهذا واضح في أن معاونيه لم يتركوا الاعتراض عليه لذلك " [٣] .

ويتضح أسلوب فكره المعاند للإسلام من وراء ترجمته للقرآن الكريم من خلال السطور التالية التي ذكرها في مقدمته : " إن أعداء المسيحية أو الذين لا يُلمون بتعاليمه بتاتاً ، هم الذين بإمكانهم أن يتأثروا بالتزييف العلني لدين الإسلام . فثمة حاجة ماسة إلى فضح هذا الاحتيال .

---

[١] ماتر نبيل : (Alexander Ross and the First English Translation of the Quarn) ، أي (ألكسندر روس وأول ترجمة إنجليزية للقرآن) مسلم ورلد ، ٨٨ : ١ (يناير ١٩٩٨م) ، ص ٨٥ .

[٢] الندوي ، د . عبد الله عباس : ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ، سلسلة دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي ١٤١٧هـ ، العدد ١٧٤ ، ص ٤٤ .

[٣] اللبان ، إبراهيم : المستشرقون والإسلام ، مجمع البحوث الإسلامية ، سنة ١٩٧٠م، ص ٤٤ .

وتمتاز الطائفة البروتستانتية بردها للقرآن الكريم ، فالمشيئة الإلهية اختصت هذا الشرف لهذه الطائفة " [١] .

وعند تحليل هذه الترجمة ، أشار مهر علي إلى أن سيل قام بترجمته على أساس ترجمة مراسي (Maracci) اللاتينية [٢] . وبذل سيل ما في وسعه لإثبات زيف القرآن الكريم وبطلانه . ونقلت ترجمته الإنجليزية إلى العديد من اللغات الأوروبية الأخرى . ومما يعكس أهمية هذه الترجمة ، أنه ومنذ أن ظهرت لا يكاد يخلو كتاب أو مقالة نشرت في أوروبا أو في الولايات المتحدة الأمريكية في موضوع القرآن الكريم إلا واشتملت على اقتباس من ترجمته [٣] .

وعلى عكس روس ، كان جورج يجيد العربية ، ولكن الكراهية والحقد ضد الإسلام غشى عينيه إلى درجة أنه قام عمداً بترجمة نص القرآن الكريم بشكل خاطئ في عدة مواضع . فعلى سبيل المثال ، قام بترجمة الخطاب القرآني المشهور " يا أيها الناس " إلى " يا أهل مكة " و " يا أهل العرب " ، في محاولة فاشلة لتقييد الخطاب العالمي للقرآن الكريم ورسالته إلى المنطقة العربية أو للناطقين بالعربية فقط . وورد في سورة البقرة الآية رقم : ١٩١ بأن الفتنة أشد من القتل ، فقام سيل بترجمة الفتنة إلى عبادة الأصنام ، حتى يطرأ على القارئ انطباع بأن الإسلام لا يتسامح مع وجود غير المسلمين ، وأن هدفه الوحيد هو إبادتهم . وهذا يعني أن وصف الإسلام بالإرهاب ليس جديداً . وفي سورة المائدة الآية رقم : ١٢ وردت نصيحة تتمثل في ضرورة قرض الله قرضاً حسناً ، ولكن سيل وصفها بأنها عمل ربوي . وعلى الرغم من إدراكه للحكم البديهي بحرمة الربا في الإسلام فإن تفسير سيل للآيات القرآنية وشرحها تظهر عدائه للإسلام [٤] .

---

[١] سيل ، جورج : (The Koran) ، لندن ، جيه . ويلكوكس ، ص ٤ .

[٢] القدوائي : الإسلام في عيون الغرب ، ص ١٠٣ .

[٣] العليلي ، أ . م . د . حيدر مجيد حسين : الآراء الموضوعية للمستشرق جورج سيل في سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في مقدمته التاريخية لترجمته للقرآن الكريم ، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ذي قار ، المجلد ١٣ ، العدد ٢ ، ص ٣٩٦ .

[٤] القدوائي : الإسلام في عيون الغرب ، ص ١٠٩ – ١١٠ .

تعتبر ترجمة القرآن الكريم للقسيس جون ميدوس رودويل (J. M. Rodwell) من لندن ، واحدة من سلسلة الحملات المناهضة للإسلام . والدافع الرئيسي وراء هذه الترجمة يتمثل في تنصير المسلمين . وفي هذه الحالة ، فإن تحقيق نجاح أكبر في هذا الصدد لا يمكن إلا من خلال إثبات أن القرآن الكريم مبني على الروايات والقصص المسيحية الأصلية . والأمر المثير للدهشة هو أن رودويل قد انحرف عن ترتيب القرآن التوقيفي المعتمد والمعمول به ، ورتّب الآيات القرآنية وفق تاريخ نزولها ، واعتبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو من وضع القرآن وألفه . يقول الدكتور وجيه حمد عبد الرحمن : " ولعل السر في إقبال المستشرقين على ترجمة رودويل وتنويههم بها يرجع إلى بدعة أحدثها في المنهج القرآني المألوف ، حيث رتب السور ترتيباً زمنياً حسب نزولها ، فبدأ بسورة العلق واختتم بسورة المائدة ، وزعم أن هذا الترتيب التاريخي يرسم صورة صحيحة واضحة لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العقلية ، والتطورات في النظريات القرآنية [1] .

ولقد استهزأ رودويل بمحتويات القرآن الكريم واستخفّ بها . فعلى سبيل المثال ، الآية رقم : ٢ من سورة الروم ، والتي تنبأ بهزيمة الروم ومن ثم وصولهم إلى السلطة بعد سنوات قليلة كانت محل سخرية وافتراء بشكل خاص على أساس أنه لم يتم وضع الإعراب على كلمة " غلبت " عمداً في هذه الآية ، لاشتقاق المعنى المطلوب منها فيما بعد في كلتا الحالتين انتصار الروم أو هزيمتهم وإثبات هذا التنبؤ كدليل على صدق الإسلام [2] .

وعلى الرغم من أنه ، مثل سلفه جورج سيل ، كان يجيد العربية ، إلا أن عقله المثير للفتن فسر المصطلح القرآني " عبد " على أنه ونظراً لإيمان عدد قليل فقط من العبيد في مكة والحجاز بالقرآن الكريم ، فإن القرآن الكريم قد وجَّه هذا الخطاب إليهم . وعلى الرغم من هذه الأخطاء الصارخة فقد صدرت لهذه الترجمة أكثر من خمسين طبعة ،

---

[1] الدكتور وجيه حمد عبد الرحمن ، وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ٢٠١٢م ، ص ٨ .

[2] القدوائي : الإسلام في عيون الغرب ، ص ١١١ – ١١٢ .

ولعبت هذه الترجمة دوراً بارزاً في تنفير أهل الغرب من الإسلام ، والقرآن الكريم وتعزيز الكراهية والحقد [1] .

ومقتفياً أثر رودويل ، قام ريتشار بيل (Rechard Bell) (١٨٧٦م – ١٩٥٢م) بالانحراف عن الترتيب التوقيفي للقرآن الكريم . فقد كان بيل قسيساً لمدة من الزمن ، وركّز أول مؤلف له بعنوان : " Origin of Islam in its Christian Environment " أي (نشأة الإسلام في بيئته المسيحية) الصادر عام ١٩٢٦م ، على إبراز تأثير المسيحية على الإسلام . وقام بيل بتحديد الإضافات في النص القرآني . وبناءً على رأيه ، وذلك على سبيل المثال ، الآيات رقم : ٢٠٦ – ٢٠٨ من سورة البقرة ليست جزءاً من القرآن الكريم . ولكن وردت في القرآن الكريم لعدم اهتمام الكاتبين . ولقد انتقد المستشرق ألفريد غيوم (Alfred Guillaume) جهود بيل قائلاً : لا أخاف من الاعتراف بأن بيل قد أساء إلى نص القرآن الكريم بصورة لا أستطيع أن أستخدم ترجمته ؛ حيث إنه وبناءً على رأيه الشخصي وبطريقة ذاتية جداً ، قام برفض الآيات وإسقاط بعضها وإخراج بعض العبارات القرآنية من النص ، فهذا لا يمكن أن يدرج تحت فئة التحليل ونقد النص . فالقارئ حتماً سيكون على حق في الانطباع بأن هذا الشخص يفتقر إلى الاعتدال والتوازن بشكل كامل [2] .

يعتبر نسيم جوزف داوود (N. J. Dawood) ، من مواليد عام ١٩٢٧م [3] ، اليهودي الوحيد الذي قام بترجمة القرآن الكريم إلى الإنجليزية عام ١٩٥٦م ، وهي ترجمة مضللة هي الأخرى . وأسوة بغيره من المستشرقين ، نسب داوود القرآن الكريم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم واعتبره مؤلفاً له ، وأصرّ على أن نص القرآن الكريم منتحل من العهد الجديد . وإضافة إلى ذلك ، وصف داوود الإسلام والمسلمين بأنهم محاربون ومتعطشون للدماء . وقبل بدء الترجمة ، أدرج داوود أيضاً تاريخاً موجزاً للأحداث الهامة التي جرت في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم المباركة والتاريخية ، ولكنه لم يذكر فيها إلا الغزوات وخروج

---

[1] القدوائي : الإسلام في عيون الغرب ، ص ١١١ – ١١٢ .

[2] غويم ، ألفريد : (Review on the Koran Interpreted) ، مسلم ورلد ، ٤٧ : ١ (١٩٥٧م) ، ص ٢٤٨ .

[3] إين جيه داؤود (N. J. Dawood) ، (The Koran) ، لندن ، بنغون ، ١٩٥٦م .

اليهود من المدينة فقط . ومن الملاحظ أن هذه الترجمة الإنجليزية المتوافرة بسهولة مليئة بالأخطاء والهفوات [1] .

لقد ظلّ الموقف الجدلي للمستشرقين مستقراً إلى يومنا هذا . ومثال ذلك ، ترجمة ألان جونز (Alan Jones) الذي ظهر إلى حيز الوجود عام ٢٠٠٧م ؛ حيث كان يتولى منصب البروفيسور في اللغة العربية الكلاسيكية في جامعة أكسفورد الشهيرة . وقدّم جونز كلما سنحت له الفرصة انطباعاً سلبياً عن الإسلام والمسلمين والشعارات الإسلامية . وموقفه الرئيسي كان يتمثل في أن القرآن الكريم نسخة مشوهة من الكتاب المقدس ، وغير منظم ، ولا يحث إلا على العداوة ضد غير المسلمين . ووفقاً لجونز فإن القرآن الكريم لا يحتوي إلا على التحريض على العداء ضد غير المسلمين ، وأن كل آية من آياته تشجع القارئ على القتال والحرب ، فقام بغض النظر عن كافة النصائح والوصايا الإيجابية والأمور المفيدة الموجودة في القرآن الكريم [2] . كما يعترض جونز على أسلوب القرآن الكريم ونمطه أيضاً ، ويرى أن العديد من المصطلحات والتراكيب القرآنية هي غامضة أو غير واضحة ، ومعقدة ولا معنى لها .

ويتضح من خلال ترجمة جونز جانباً من التعصب الأيديولوجي ، فهذا الأستاذ الغربي الذي يُدرّس في إحدى أشهر الجامعات العالمية يُعلن بغطرسة أن هذا القرآن الكريم باطل لا قيمة له ، مع أنه يُعتبر كتاباً مقدساً للمليارات من المسلمين من جهة ، وتحفة فنية نادرة للغة العربية وآدابها من جهة أخرى .

إن ما يثير القلق بشدة هو أن جونز يُغرس في أذهان قرّائه مفهوماً سيئاً وخطيراً للغاية عن المسلمين من خلال وصف كل سورة قرآنية بأنها مصدر العنف ، وهذا يثبت أن الترجمات المدفوعة بالتحيز الأيديولوجي ستكون لها عواقب خطيرة للغاية .

إن الترجمة المعنونة بـ : " The Quran: An New Annotated Translation " أي (القرآن : ترجمة مشروحة جديدة) لـ إيه . جيه .

---

[1] القدوائي : الإسلام في عيون الغرب ، ص ١١٥ .

[2] ألان جونز (Alan Jones) ، (The Quran Translated into English) ، لندن ، غيب ميموريل ترست ، ٢٠٠٧م .

دروغي (A. J. Droge) هي أحدث الترجمات الاستشراقية التي نشرت في عام ٢٠١٤م ، وهي عبارة عن ترجمة متحيزة . وتخلق ترجمة دروغي انطباعاً يتمثل في أن القرآن كتاب ملتبس بشكل غريب ، لا نظم فيه ولا ترتيب ولا مخطوطة موثوق بها ، بل إن النص الموجود حالياً مشوه ومحرف . ولقد كرّر في الترجمة التي تشتمل على ٤٨٨ صفحة لأكثر من ٩٠ مرة على أن القرآن الكريم لغز محير . ويذكر في كثير من الأحيان " مصاحف أخرى " ويعتبر وجودها دليلاً قاطعاً على قوله ، بيد أنه لا يذكر مصدره ولا مرجعه ناهيك عن التفاصيل [١] .

وخلاصة القول أن معظم الترجمات الاستشراقية ترمي إلى ترسيخ مفاهيم خاطئة عن القرآن الكريم مدعية بأن القرآن الكريم من صنع البشر ، ساعية إلى تجريده من صفته السماوية ، فضلاً عن الادّعاء بأن القرآن الكريم يخاطب العرب دون سواهم من البشر بهدف التقليل من عالمية الرسالة الإسلامية . ولا مراء في أن ترجمات معاني القرآن الكريم التابعة للمستشرقين والملوثة بطابع التحيزات الأيديولوجية تُقدّم شكلاً غريباً للقرآن الكريم لا يمكنك التعرف عليه بتاتاً ، وتخلو من الموضوعية والتجرد والنزاهة العلمية وتنفصل تماماً عن سياق الحياد والواقعية . وبهذه الطريقة ، فهي تحرم القارئ من حق الوصول إلى الرسالة الأصلية للقرآن الكريم ومعرفة غايتها . فهل يحق لهذا النوع من المؤلفات الرديئة أن يطلق عليها ترجمات ؟ وهل يحق للمترجم أن يجعل النص المترجم غير جدير بالثقة تحت تأثير آرائه المتحيزة ؟ فالإجابة واضحة والدليل على ذلك بين ، وليس لنا إلا إماطة اللثام عن وجوه هؤلاء المستشرقين ، وأن نبين لهم باسم العلم زيف ما يدعون ، ونرد على مثل هذه التحيزات والتعصبات بكل جرأة وبطريقة علمية نزيهة وأسلوب يؤكد على حقانية القرآن الكريم وعمومية رسالته وأن الخلاص والنجاة الحقيقة تكمن في هذه الآية القرآنية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [٢] . والله على ما نقول وكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

[١] الإسلام في عيون الغرب ، ص ١٠٥ .

[٢] سورة البقرة ، آية رقم : ٢٠٨ .

شعر ألطاف حسين حالي في ضوء الكلمات القرآنية
دراسة وصفية

الباحث عبد القيوم *

بهر القرآن الكريم عقول الناس وألبابهم ، وأسر قلوبهم ، واستولى على نفوسهم منذ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لما تميز به عن سائر كلام البشر بجزالة الألفاظ وفصاحتها ، وابتعاده عن الحوشي ، وسحر بيانه وجودة سبكه . فقد تحدى القرآن جميع الفصحاء ، فوقفوا حياله وفقة المبهوتين الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة ، معلنين ضعفهم وعجزهم . وقد استولى سحر ألفاظ القرآن على ألباب الأدباء والشعراء خاصة المعروفين بحسهم المرهف وأذواقهم الراقية الرفيعة . والشاعر ألطاف حسين حالي أحد الشعراء في الأدب الأردي الذين تشربوا النص القرآني ، وارتكزوا على ألفاظه وصوره ومعانيه في سبيل بناء صرحه الشعري ، ويظهر ذلك جلياً في عدة مواضع من أبياته . لذا أعددت هذا البحث عن تحليل شعره وفق الألفاظ القرآنية من خلال الكشف عن الآيات التي اعتمدها الشاعر في أخذ مفاهيم الآيات القرآنية في مواضع كثيرة ، ويتبع هذا البحث المنهج الوصفي للموضوع . كي يتضح الأثر الفعال لشعره في نفوس المسلمين ، وترفع به هممهم إلى إصلاح حياة المسلمين الاجتماعية وتقدمهم .

إن ألطاف حسين حالي يعد من أشهر الشعراء في الأدب الأردي . ولد الشيخ ألطاف حسين حالي عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م في پاني پت : ويقال : إن سلسلة نسبه تمتد إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري [١] ، توفي أبوه وهو صغير ، وأصيبت أمه بالمرض فكفله أخوه الأكبر ، وواجه حالي مشكلات مادية لم تعوضه عنها شفقة أخيه ومحبته . حفظ القرآن الكريم ودرس القراءات ، وبعدها درس الفارسية والعربية ، كل هذا وعمره لا يتجاوز السابعة عشرة ، وتزوج في سن مبكرة ، إلا أن زواجه لم يشغله عن طلب العلم ، وكانت الحالة المادية لزوجته طيبة مما هيأ له ظروفاً مناسبة ، وقد رغب حالي كثيراً في حضور مجالس العلماء والأدباء

* قسم اللغة العربية ، جامعة كشمير .

[١] تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند ،ج ٩ ، ص ١٣٤ ، بنجاب يونيورستى لاهور .

فانضم إلى حلقة " غالب " و " ذوق " وغيرهما ، وتحمس لقول الشعر ، وكان في العشرين من عمره حين اندلعت ثورة التحرير عام ١٢٧٣هـ /١٨٥٧م فتركت أحداثها المؤلمة تأثيرها على فكره ، وكان لها دخل كبير في تشكيل عاطفته الإسلامية وحركته الإصلاحية . تنقل حالي من عمل إلى آخر ، وظل يعمل لأربع سنوات في لاهور مراجعاً ومصححاً للكتب المترجمة إلى الأردية ، واشترك في محافل الشعر هناك ، بعدها انتقل من لاهور إلى دلهي ، وانضم إلى المدرسة الإنجليزية العربية ، وكان ذلك في وقت بدأت التأثيرات الغربية تعم الهند ، وهكذا وقف في وجه هذه التأثيرات الغربية وشارك في كل نشاطات الأدباء والعلماء الإصلاحية والعلمية والتعليمية ، وترأس حالي عام ١٩٠٧م جلسات مؤتمر تعليم الأمة الإسلامية الذي عقد بكراتشي ، وكان ذلك في فترة انقطع فيها عن مشاغله العلمية ، وفي آخر يوم من أيام سنة ١٩١٤م توفاه الله ودفن حيث ولد في باني بت . فاحتل حالي مكانة مرموقة في الأدب الأردي ، فقد جدد في أشعاره ، كما أنه كان يعد الأستاذ الأول في النقد الأردي ، تأثر بحركة سيد أحمد خان فأكد على ضرورات الحياة الجديدة ، واتجه إلى التركيز على إصلاح المسلمين وإنقاذهم مما أصابهم من انحطاط أخلاقي وسياسي واجتماعي . وحاول أن يكتب الشعر بأسلوب جديد ، إلا أنه متصل بالتراث ، فلم يجعل محاولات التجديد تقتلعه من جذوره الممتدة عبر تراث الأدب الإسلامي الأردي أو العربي أو الفارسي ، واتسمت أبياته بالطابع الأخلاقي ، فهو يذكر المسلمين بأيام مجدهم وما وصلوا إليه في الهند من ذل ، ويذكرهم بما كانوا عليه من علم وما وصلوا إليه من جهل .

الكلمات القرآنية في شعر حالي :

لا يزال الأدباء الإسلاميون يستقون من نبض القرآن الكريم ونبعه الغزير ما يقوم ألسنتهم ويكفل لهم إحسان القبول بدون تكلف أو تعمل أو اختيار الألفاظ . . . فأصبح القرآن الكريم معجمهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على مداه ، مهما اختلفت أقطارهم وتباعدت أمصارهم وأعمالهم . ومنع الأدباء من تناول الأغراض التي تخالف تعاليم الدين الحنيف ، مثل وصف الخمر والغزل الفاحش الماجن . فلم يتأثر بالقرآن الكريم شعراء العرب فحسب ، وإنما تأثر شعراء الأمم والشعوب الإسلامية بالقرآن الكريم أيضاً في لغاتهم ، مثل الفارسية والتركية والأردية ، وحذا كل شاعر منهم حذو الشعراء العرب ، منهم ألطاف حسين حالي الذي استعار القيم الخلقية والمثل العليا من القرآن الكريم

وعندما نقرأ شعره فنجده كأنه ترجمة الآيات القرآنية وتعبير عن الحكم النبوية ، والرسالة الإسلامية الخالدة في طياته ، ورسالة القدوة والعمل للمسلمين . إذا ذهبنا نتتبع آيات القرآن الكريم في شعر حالي وجدناه يشير إليها في مواضع ، وما غرضه من هذا إلا تأييد فكرته بالدليل كل الدليل ، وتأييد مذهبه الإصلاحي الإسلامي الواقعي بالحقيقة التي لا يجد الشك إليها سبيلاً . وانتفع حالي في أشعاره بالنصوص الإسلامية والمفاهيم القرآنية ، كما نعرف أن للألفاظ أهمية بالغة ، فهي اللبنة الأساسية التي يشكل بها الشاعر صرحه الشعري ، وكلما اعتنى الشاعر بانتقاء الألفاظ الصحيحة الجزلة الموحية ، كان ذلك مدعاة لجودة شعره وحسن تأليفه ، وتأتي كلمات القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة والبيان ، لأنها : " لبُ كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الشعراء والبلغاء في نظرهم ونثرهم " [1] ، ولذلك عمد شاعرنا " حالي " إلى النص القرآني فاستقى منه الكثير من مفرداته ، وأكثر من استعمال الألفاظ القرآنية في أشعاره . وهنا نتكلم عن الأبيات التي ألفاظها مستقاة من آيات قرآنية مختلفة ، استعملها الشاعر في أبياته مثل " الجنة " ، و " إرم " ، و " سلسبيل " ، و " كوثر " حيث يقول :

بہشت اور ارم سلسبیل اور کوثر — پہاڑ اور جنگل جزیرے سمندر
اسی طرح کے اور بھی نام اکثر — کتابوں میں پڑھتے رہیں اکثر
یہ جب تک نہ دیکھیں کہیں کس یقین پر — کہ یہ آسماں پر یا ہیں زمین پر [2]

الجنة وإرم والسلسبيل والكوثر والجبال والغابات والجزائر والبحار نقرأ هذه الأسماء في القرآن الكريم ، فكلمة " بهشت " أي " الجنة " جاءت في آيات كثيرة : (مثل الجَنَّة التي وُعد المتَّقُون إلخ) [3] ، واللفظ " إرم " جاء في سورة الفجر (إرَمَ ذَات العمَاد) واللفظ " السلسبيل " وقد قال الله جل وعلى عنها : (عيناً فِيهَا تُسمَّى سَلسَبيلاً) ، وكذلك نجد كلمة الكوثر في القرآن الكريم ، وهي نهر من أنهار الجنة والخير الكثير ، (إنَّا أعطينَاكَ الكَوثَر) [4] وكذلك وصف الشاعر حال أولئك الذين لا يخافون الله ويعملون أعمالاً سيئة ، إنهم نسوا الله في الحقيقة ، فأنساهم أنفسهم ، قائلاً :

---

[1] الراغب الأصفهاني ، مفردات في غريب القرآن ، ج ١ ، مصر ، ص ٦ .
[2] حالي ، مسدس حالي ، ص ٤٨ .
[3] سورة الرعد ، الآية ٣٥ .
[4] سورة الكوثر ، الآية ١ .

نہ مظلوم کی آہ وزاری سے ڈرنا　　نہ مفلوک کے حال پر رحم کرنا
ہوا وہوس میں خودی سے گذرنا　　تعیش میں جینا نمائش پر مرنا
سدا خواب غفلت میں بے ہوش رہنا　　آدم نزع تک خود فراموش رہنا

فمفهوم كلمة " خودفراموشي " (نسيان الذات) في هذا البيت قد اقتبس من الآية القرآنية : (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُم أَنفُسَهُم) [1] .

سمجھتے ہیں گمراہ جن کو مسلماں　　نہیں جن کو عقبیٰ میں امید غفراں
نہ حصے میں فردوس جن کے نہ رضوان　　نہ تقدیر میں حور جن کے نہ غلماں
پس از مرگ دوزخ ٹھکانا ہے جن کا　　حمیم آب وزقوم کھانا ہے جن کا [2]

ففي هذه الأبيات استخدم الشاعر الكلمات القرآنية : " رضوان " و " الغفران " و " الفردوس " و " الحميم " و " الزقوم " ونجدها في الآيات القرآنية التالية :

(أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ، (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) ، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً) ، وأما كلمة" حور " فقد وردت في آيات قرآنية كثيرة منها : (كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) ، وأما كلمة " غلمان " فقد وردت في الآية القرآنية التالية : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) ، وأما كلمة " حميم " فقد وردت في ذكر الكافرين الذين يعذبون بعذاب موجع مؤلم في جهنم ، ويشربون ماء شديد الحرارة ، يقول الله تبارك وتعالى في وصف الكافرين : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ) . هؤلاء الكفار يأكلون في جهنم من شجرة الزقوم ، وهي شجرة تنبت في قعر جهنم ، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين ، كما قال الله تعالى في كلامه المجيد : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) .

كذلك استخدم الشاعر ألفاظ " دين برحق " (دين الحق) في أشعاره المختلفة منها :

لیا عقل ودین سے نہ کچھ کام انہوں نے　　کیا دین برحق کو بدنام انہوں نے
مگر دین برحق کا بوسیدہ ایواں　　تزلزل میں مدت سے ہیں جس کے ارکاں
زمانے میں ہے جو کوئی دیں حق کا مہماں　　نہ پائیں گے ڈھونڈا جسے پھر مسلماں [3]

هذه الكلمات أي " دين الحق " نجدها في آيات قرآنية مختلفة منها :

---

[1] سورة الحشر ، الآية ١٩ .
[2] حالي ، مسدس حالي ، ص ٥١ .
[3] حالي ، مسدس حالي ، ص ٥٣ .

(قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلاَ بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ حَتَّىَ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [1] ، (هُوَ ٱلَّذِيَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً) [2] ، وكذلك استخدم الشاعر في بعض أبياته أسماء أصنام مختلفة مثل " اللات " و " العزى " و " مناة " :

قبیلے قبیلے کا اک بت جدا تھا — کسی کا ہبل تھا کسی کا صفا تھا
یہ عزیٰ پہ وہ نائلہ پر فدا تھا — اسی طرح گھر گھر اک بت تھا [3]

وأسماء هذه الأصنام مذكورة في القرآن الكريم صراحةً : (أَفَرَأَيْتُمُ ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخْرَىٰ) [4] . ونجد أيضاً لفظ " خير الأمم " في أشعاره :

ہمارا یہ حق تھا کہ سب یار ہوتے — مصیبت میں یاروں کے غمخوار ہوتے
سب ایک ایک کے باہم مددگار ہوتے — عزیزوں کے غم میں دل افگار ہوتے
جب الفت میں یوں ہوتے ثابت قدم ہم — تو کہہ سکتے اپنے کو خیر الامم ہم [5]

وهذا اللفظ متناص في هذه الآية الكريمة : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ) [6] .

الخاتمة :

نلاحظ مما سبق أن الشاعر ألطاف حسين حالي لم يقتصر على الاقتباس النصي والإشاري فحسب ، بل نجده يستدعي الألفاظ القرآنية في شعره ، وذلك لما تحمله هذه الألفاظ من خاصية دلالية مكثفة ، ولأن لجوء الشاعر إلى هذه المفردات القرآنية تطوي أمامه مسافات طويلة من التعبير وتلهمه تصوير الموقف أدق تصوير ، فقد حرص على الإفادة من هذه الألفاظ لجمال معناها ، وقدرتها الفائقة في التعبير ، ويظهر لنا تأثر الشاعر بمعاني وألفاظ القرآن الكريم في أشعاره ، ويتضح لنا أيضاً أن الألفاظ القرآنية كانت منبعاً يستقي منه الشاعر ويرصع بها نصوصه ، يستجلب من خلاله البركة والحجة ، هذا الأمر الذي يدل على إعجابه التام بالقرآن الكريم .

---

[1] سورة التوبة ، الآية ٢٩ .
[2] سورة الفتح ، الآية ٢٨ .
[3] حالي ، مسدس حالي ، ص ٢٠ .
[4] سورة النجم ، الآية ١٩ — ٢٠ .
[5] حالي ، مسدس حالي ، ص ٤١ .
[6] سورة آل عمران ،الآية ١١١ .

موقف النقد العربي القديم من ظاهرة التناص المعاصرة

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الباحث عبد الرشيد الوافي *

د . عبد المجيد تي ♣

التضمين :

أما التضمين فليس إلا صورةً من صور الاقتباس ، وإن كان النقد العربي القديم فرق بينهما ، من حيث اتجاه كل منهما ، إذ يتجه الاقتباس إلى القرآن الكريم والحديث النبوي على حين يتجه التضمين إلى الشعر عموماً ، وعرف ابن رشيق التضمين بقوله : " فأما التضمين : فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم ، فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل به " [١] . وأوضح تعريف للتضمين وأشمله يجده الباحث لدى ابن أبي الإصبع المصري فهو عنده " أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية أو معنىً مجرداً من كلام أو مثلاً سائراً أو جملةً مفيدةً أو فقرةً من كلمة " [٢] .

يلاحظ الباحث من خلال هذين التعريفين اللذين يفصل بينهما مائتا عام أن النقاد العرب القدامى لم يعودوا يفصلون بين الاقتباس والتضمين ، بل غدا هذان المصطلحان في معظم كتب النقد المتأخرة شيئاً واحداً . وهذا ما يعني دخول تلك المصطلحات المتقاربة في المعنى مرحلة جديدة من التطور النقدي .

وإذا كانت جوليا كرستيفا أشارت إلى أن كل نص يتشكل كفسيفساء من الاستشهادات والاقتباسات ، فإن النقد العربي القديم

---

* باحث دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية فاروق ، جامعة كاليكوت ، كيرالا ، الهند .

♣ الأستاذ المساعد ومشرف البحوث ، قسم اللغة العربية ، كلية فاروق ، جامعة كاليكوت ، كيرالا ، الهند .

[١] القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، مركز تحقيقات كامبيوتر علوم إسلامي ، ص ٧١٩ .

[٢] المرجع السابق .

كان أكد هذه المقولة منذ زمن بعيد ، فتحدث ابن رشيق عن أشكال التضمين المتنوعة ، وفصل فيها القول ، ومن النماذج الواضحة للتضمين في الشعر العربي القديم التي أوردها ابن رشيق قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب :

يا خاضب الشيب والأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع
أذكرتني قول ذي لب وتجربة في مثله لك تأديب وتقريع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع [1]

فالبيت الثالث من المقطوعة السابقة ليس من نظم الشاعر محمود ابن الحسين ، وإنما هو لأحد الشعراء ، وقد ضمنه الشاعر مقطوعته تلك .

ولم يخف النقد العربي القديم تحديد أنواع التضمين ، وإظهار طريقة استخدام الشعراء له ، فالتضمين الجيد عند ابن رشيق أن يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه الخاص به ، وذلك كقول نسبه قوم إلى ابن الرومي :

يا سائلي عن خالد ، عهدي به رطب العجان وكفه كالجلمد
كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي [2]

اقتطع الشاعر بيت النابغة الذبياني الذي يصف فيه الثغر من سياقه ، ووضعه في سياق آخر مخالف لما كان عليه في سياقه الأول ، إذ نقله من الغزل إلى المديح ، يقول النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكة برداً أسفّ لثاته بالإثمد
كالأقحوان غداة غبٍ سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي [3]

أشار ابن رشيق أيضاً إلى نوع آخر من التضمين ، وهو التضمين العكسي ، حيث يضع الشاعر المضمن عجز البيت المضمن مكان صدره ، وصدره مكان عجزه ، ومن ذلك قول العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك :

لقد أنكرتني إنكار خوف يضم حشاك عن شتمي وذحلي

---

[1] القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، مركز تحقيقات كامبيوتر علوم إسلامي ، ص ٧١٩ .
[2] المرجع السابق ، ص ٧٢١ .
[3] المرجع السابق ، ص ٧٢١

كقول المرء عمرو في القوافي لقيس حين خالف كل عذل
عذيرك من خليلك من مراد أريد حياته ويريد قتلي [1]

فالبيت الثالث من المقطوعة السابقة هو لعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وأصل البيت :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد [2]

ضمنه العباس بن الوليد مقطوعته تلك بعد أن عكسه ، فوضع عجزه مكان صدره ، وصدره مكان عجزه ، ويدخل ضمن مصطلح التضمين عند النقاد العرب القدامى مصطلح الإشارة أو الإحالة حيث يشير النص الحاضر إلى النص الغائب من دون أن يستحضره مباشرة ، وذلك كقول أبي تمام :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي أرق وأخفى منك في ساعة الكرب [3]

إذ يشير هذا البيت إلى البيت المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار [4]

ولعل بيت أبي تمام السابق أبعد غوراً من أن يكون مجرد إحالة أو إشارة ، كما أشار النقد العربي القديم إلى ذلك ، إذ أن أبا تمام اقتبس نصف مفردات البيت السابق ، وعزف على مكوناته ، معيداً صياغته من جديد ، وهو ما يدعى بالتناص الاقتباسي المحور .

وصفوة القول : إن مصطلحي التضمين والتناص يدلان على ظاهرة واحدة ، لكن لكل منهما بيئته وعصره الخاصين ، كما أن لكل منهما أهدافه وغاياته المختلفة .

السرقة :

أما السرقة فقد شغلت حيزاً واسعاً في النقد العربي القديم ، وحاول النقاد العرب القدامى من خلال حديثهم عنها ، الكشف عن المبتكر المبتدع ، سواء على صعيد اللفظ أو المعنى أو الصور ، ومصطلح السرقة عند النقاد العرب القدمى مصطلح واسع متباعد الأطراف ، إذ

---

[1] المرجع السابق ، ص ٧٢٣ .
[2] المرجع السابق ، ص ٧٢٤ .
[3] التفتازاني ، سعد الدين ، مختصر المعاني ، دار الفكر ، ص ٣١٢ .
[4] المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

تندرج تحته كثير من المصطلحات .

ويمكن تقسيم تلك الأنواع المتعددة من السرقات إلى أربعة أنواع ، استناداً إلى التصنيف القديم :

السرقات التامة :

هي أخذ اللفظ والمعنى جميعاً ، وأطلق عليها النقد العربي القديم أسماء عدة ، منها : النسخ والانتحال والإغارة والغصب والاجتلاب ، وشاهدها قول طرفة بن العبد :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد [1]

فأخذه من قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل [2]

والحق أن هذا النوع من السرقات يحقق أعلى مستوى من التناصية ، من ناحية وضوح عملية الانتحال أو السرقة ، إذ أن بيت امرئ القيس حاضر بشكل كامل في بيت طرفة ما عدا كلمة تجلد المحرفة ، ولعل هذا ما يوجد مطابقاً لما تحدثت عنه جوليا كرستيفا من الحضور الفعلي لنص ما في نص آخر ، كما يشكل هذا النوع من السرقات أيضاً المرتبة الثانية من التناصية عند جيرار جينيت بوصفها اقتباساً حرفياً غير منصص .

السرقات المعنوية :

هي أخذ المعنى من دون اللفظ ، ولها أسماء كثيرة منهما الإلمام والاختلاس وذلك كقول أبي نواس :

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان [3]

اختلسه من قول كثيّر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل [4]

وربما كان النقد العربي القديم مغالياً في عد هذا النوع من سرقة ، إذ ليس هنالك من حضور معنوي واضح وقوي لبيت كثيّر في بيت أبي

---

[1] الجندي ، محمد سليم ، امرؤ القيس ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٨م ، ص ١٧٥ .

[2] المرجع السابق .

[3] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢/٨٢٤ .

[4] حسن ، عباس ، دار المعارف ، مصر ، ٢/٤٧٤ .

نواس ، حتى يمكن أن يتهم أبو نواس بالسرقة المعنوية ، وإنما هناك إلماحة بعيدة تشير إلى علاقة بين النصين ، ولعل هذا النوع من السرقات يندرج في إطار ما يسمى بالتناص الامتصاصي حيث يمتص الشاعر معنى النص الغائب ويتشربه ، ويعيد صياغته من جديد ، من دون أن يكون هناك من حضور لفظي واضح للنص الغائب في النص الحاضر .

السرقات اللفظية :

هي أخذ بعض اللفظ أو كله ، ولها أنواع كثيرة ، منها الاهتدام والالتقاط والتلفيق ، وذلك كقول النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان [1]

أخذ كثيّر صدر هذا البيت ، وقسما من عجزه ، فقال :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلّت [2]

والمحلل لهذا النوع من السرقات ، يجد أنها ليست لفظية فقط ، وإنما هي معنوية أيضاً ، فمعنى البيتين واحد ، ولذا لا يمكن تصنيفها ضمن السرقات اللفظية فحسب ، وهذا النوع من العلاقات التناصية التي تقوم على حضور لفظي محرف ، يوجد لدى جيرار جينيت ، تحت اسم (الاتساعية النصية) التي توحد بين نصين : أحدهما منحسر ، وهو النص الغائب ، وثانيهما متسع وهو النص الحاضر ، ويفضل الباحث إدراج هذا النوع من السرقات ضمن ما يسمى بالتناص الاقتباسي المحور حيث يرد النص الغائب في النص الحاضر بشكل محرف ، فيه تغيير إما بحذف أو إضافة .

السرقات التي تقوم على الموازنة أو العكس :

الموازنة ، وذلك كقول كثيّر :

تقول مرضنا فما عدتنا وكيف يعود مريض مريضاً [3]

وازن في عجز البيت قول نابغة بني تغلب :

بخلنا لبخلك قد تعلمين وكيف يعيب بخيل بخيلاً [4]

---

[1] القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر ، ص ١٠٨٢ .

[2] شراب ، محمد محمد حسن ، شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧م ، ٢١٧/١ .

[3] مطلوب ، أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، ٣٢٢/٣ .

[4] المرجع السابق .

العكس ، وذلك كقول الشاعر :

سود الوجوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر [1]

عكس فيه قول حسان بن ثابت :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

وتماثل (الموازنة) ما أطلق عليه جيرار جينيت (المحاكاة) حيث يستوحي المبدع أسلوب غيره ، فيقيم عليه نصه من دون أن يستخدم عباراته نفسها ، أما النوع الثاني (العكس) فيماثل ما أطلق عيه تودوروف (المحاكاة الساخرة) حيث يستوحي المبدع أسلوب غيره ليقيم عليه معنىً مغايراً ومناقضاً للمعنى السابق . ويرى الباحث أنه من الأجدر تصنيف هذا النوع من السرقات ضمن ما يسمى بـ (التناص الأسلوبي) بغض النظر عن هدف المبدع من محاكاة الأسلوب السابق سواء أكان للحط منه أم للرفع من شأنه .

المعارضة والمناقضة :

أما المعارضة والمناقضة فتنتميان إلى التناصية ، بوصف الأولى محاكاةً ، والثانية محاكاةً ساخرةً ، والمعارضة هي أن ينظم شاعر قصيدةً أو مقطوعةً يحتذي فيها نصاً لشاعر آخر ، ينسج على منواله ، ولا بد من التقاء النصين (المحتذي والمحتذى) في الوزن والروي والقافية واتحادهما في الموضوع أو في جزء منه ، وللمعارضة والمناقضة تاريخ عريق في الشعر العربي قديمه وحديثه ، امتلأت دواوين الشعراء القدامى والمحدثين بالقصائد المعارضة والمناقضة ، وحظيت بردة الإمام البوصيري رحمه الله في مدح النبي صلى اله عليه وسلم بمعارضات كثيرة ، ومن أشهرها معارضة أحمد شوقي المسماة بنهج البردة ، وأما المناقضة الشعرية فمن أشهرها قصيدة جرير التي يناقض فيها لامية الأخطل ، والتي مطلعها :

ودّع أمامة حان منك رحيل إن الوداع من الحبيب قليل [2]

إن المعارضة والمناقضة تحققان مفهوم التناص من خلال الإطار

---

[1] أسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ص ١٩١ .

[2] جرير ، ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، عام ١٩٨٦م ، ص ٣٧٨ .

والشكل الخارجي ومن خلال البناء الهيكلي لهما ، وذلك إما بالاعتماد على الجانب الإيقاعي منه كالوزن الشعري أو بالاعتماد على الجانب الصوتي كالقافية والروي وإما بتكرار بعض ألفاظه وجرسها الموسيقي ، وعلى هذا فإن هذين المصطلحين المعارضة والمناقضة يمكن أن يدرجا في النقد المعاصر ضمن ما يسمى بالتناص الأسلوبي .

خاتمة البحث :

التناص مصطلح نقدي جديد ، وسبق إلى إيجاد هذ المصطلح الجديد النقد الغربي المعاصر ، ولكن النقد العربي القديم ألمح إليه بمصطلحاته المختلفة ، فبعد الدراسة الشافية وصل هذا البحث النقدي إلى النتائج الآتية .

- أما النقد الغربي المعاصر فقد سبق النقد العربي إلى استحداث مصطلح التناص .
- أشار النقد العربي القديم إلى عدة مصطلحات نقدية وبلاغية هي في حقيقتها أشكال متنوعة من أشكال التناص .
- من أشكال التناص الواردة في كتب النقد والبلاغة العربية القديمة الاقتباسٍ والتضمين والسرقة والمعارضة والمناقضة .
- إن كلاً من هذه المصطلحات بمفهوماتها العربية القديمة تقابل بشكل واضح مصطلحات التناص في النقد المعاصر ، لكن كل مصطلح يعبر عن واقع عصره ، كما أنها تختلف في الوظائف والغايات التي يساق كل منها لأجلها .
- ينطبق جميع مصطلحات النقد المعاصر من تناص التآلف وتناص التخالف والحوارية بين النصوص والتناص التحويري أو التحويلي أو التحويل البسيط المباشر على الاقتباس في النقد العربي القديم ، كما ينطبق مصطلح التناص الاقتباسي المحورعلى التضمين في النقد العربي القديم .
- يدلّ مصطلحا التضمين والتناص على ظاهرة واحدة ، لكن لكل منهما بيئته وعصره الخاص ، كما أن لكل منهما أهدافه وغاياته المختلفة .
- تنتسب مصطلحات التناص الامتصاصي والاتساعة النصية والمحاكاة والمحاكاة الساخرة والتناص الأسلوبي إلى السرقة في النقد العربي القديم
- ينتمي مصطلح التناص الأسلوبي إلى المعارضة والمناقضة في النقد العربي القديم .

مكتبة شبلي النعماني العامة لندوة العلماء تاريخها ، وذخايرها العلمية

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الأستاذ محمد فيضان النغرامي الندوي *

المكتبات الشخصية في مكتبة ندوة العلماء :

وعدد الكتب المستعارة هي كالتالي :

الرقم	اسم المكتبة	عدد الكتب
١	مكتبة نواب علي حسن خان	١٩٩٦
٢	مكتبة الطبيب السيد عبد العلي الحسني	١٥٩٠
٣	نواب السيد نجم الحسن خان	١٢٦٨
٤	الشيخ افتخار الفريدي	٢٠٨
٥	الشيخ محمد شبير عطا الندوي	٢٩٣٨
٦	الدكتور عبد اللّٰه عباس الندوي	١٧٨٣
٧	الدكتور ولي الحق الأنصاري	٦٥٧

تحتوي المكتبة أيضاً على مجموعة هائلة من المجلات والجرائد منها مجلة " الندوة " الأردية ومجلة " الضياء " العربية الصادرتين من لكناؤ ، والمجلة الشهرية (معارف) من أعظم جراه ، وهناك أيضاً يتوافر الملف الرقمي لجميع إصدارات مجلة " صدق " للشيخ عبد الماجد الدريابادي من ١٩٢٥م إلى ١٩٨٥م .

مبنى جديد للمكتبة :

ووقعت هذه المكتبة في وقت سابق في المكتب القديم لندوة العلماء الواقع في غوله غنج ، وانتقلت منها إلى القاعة العباسية الفسيحة والجميلة في سنة ١٩٠٨م على اقتراح العلامة السيد سليمان الندوي إلا أنها لم تكن كافية برغم سعتها وجمالها ، وإدراكاً لهذه الحاجة أسست تحت رعاية الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بيد الشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك (رئيس قضاة دولة الإمارات العربية المتحدة) مبنى من خمسة طوابق في ٢/نوفمبر ١٩٧٥م المطابق ٢٨ من شوال ١٣٩٥هـ ،

* أمين مكتبة شبلي ، ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) ، البريد الإلكتروني : shiblinomanilibrary@gmail.com

وتم وضع حجر الأساس للمكتبة في حضور الشيخ حسن الحبنكه رئيس رابطة لعلماء سوريا والشيخ عبد الحليم محمود شيخ من جامعة الأزهر ، والدكتور الشيخ محمدحسين الذهبي وزير الأوقاف .

ترتيب جديد للمكتبة :

بفضل الله يزداد عدد الكتب الجديدة في المكتبة باستمرار قلمياً وخطياً ، وفي البداية كان في المكتبة منهج قديم لإعداد الفهارس ، وسيطر على نظامها الخلق والبلى ، ومست الحاجة منذ فترة طويلة للاستفادة من المرافق الجديدة والتحديث في تنظيم المكتبة ، والجدير بالذكر في هذا الصدد جهود الشيخ إسحاق جليس الندوي (المتوفى ١٩٧٩م) ، مدير تحرير مجلة " تعمير حيات " الأسبق لكناؤ ، الذي رتب وهذب العلوم والفنون باختيار الطراز الجديد لفهرسة الكتب ، ويذكر مساعيه المجهودة الشيخ الطبيب عبد القوي الدريابادي رئيس التحرير الأسبق لمجلة " صدق " الأسبوعية كاتباً في مجلته :

" أصبح إعداد فهارس المكتبات فناً دائماً في العلوم الغربية تحت اسم " علم المكتبات " وراجت طريقة الفهارس ذات النمط الغربي في مكتبات الجامعات ، ويتم تقليدها في الدول الإسلامية . وإنه لمن دواعي السرور أن الأستاذ محمد إسحاق جليس الندوي خريج فاضل من خريجي دار العلوم ندوة العلماء ، رتب بعد قراءة كتب علوم المكتبات في مكتبات الهند الشهيرة ، وقام بترتيب نظام جديد للفهارس من حيث العلوم الشرقية والإسلامية باسم النظام الندوي ، وقدم نظاماً جديداً للفهارس لمكتبة دار العلوم ندوة العلماء مقابل مع الغرب ، ولم تعط العلوم الإسلامية كالفقه والتفسير والحديث أي مكان في الفهارس الغربية ، لكن في هذا النظام الجديد ، أعطيت لكل فن إسلامي مكانته المرجوة ، ويستحق الندوي الثناء والإعجاب على هذا الجهد الذي بذله من جميع النواحي ، لأنه أعطى العلم الغربي الخالص " علم المكتبات " شكلاً إسلامياً . (مجلة الأسبوعية الصدق الجديد ، ١/فبراير ١٩٧٤م) .

أمناء المكتبة عبر العصور :

هناك شخصيات أخرى لعبت دوراً مهماً في تطوير مكتبة ندوة العلماء ، وفي مقدمتهم الأستاذ عارف الزمان ، والأستاذ السيد علي محسن ، والأستاذ السيد هاشم ، والأستاذ محمد مرتضى ، والأستاذ السيد عزيز الرحمن ، والأستاذ عبد الحق ، والأستاذ السيد كليم أحمد الندوي ، والأستاذ السيد محمد مرتضى المظاهري ، والأستاذ القاضي محمد هارون الندوي المظاهري ، ففترة الشيخ السيد محمد مرتضى النقوي البستوي المظاهري (المتوفى ١٩٩٥م) أطول فترة ، وكان الشيخ أميناً لمكتبة ندوة العلماء لسنوات طويلة وبذل قصارى جهده لتطوير المكتبة وتصعيدها ،

وأعطاه الله ذوقاً حسناً جداً ، واتصف بصفات الجهد المتواصل والعمل الدائم ، لذلك كان يحاول في كل حين وآن في شأن تزيين المكتبة بالكتب الثمينة ، وكان رجلاً ذا شجاعة وهمة عالية ، وكان أقرب الناس إلى الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي واستفاد منه كثيراً ، وكانت فترة إدارته للمكتبة هي فترة مجيدة من حيث تطوير المكتبة ، وكانت من فضائله العظيمة أنه لم يعتبر نفسه مجرد موظف في المكتبة ، بأنه يعمل فقط في الوقت الذي يحصل عليه راتبه ، وفي الحقيقة وقف نفسه لا لندوة العلماء فقط بل أيضاً لمكتبتها ، لذلك كان صباحه صباح المكتبة ومساءه مساء المكتبة ، كان يبذل قصارى جهده لاقتناء واستيراد الكتب للمكتبة ويعد أذهان الآخرين لها ، ولصيانة الكتب في المكتبة كان ينازع أحياناً مع أصدقائه ، لكنه لا يتحمل أدنى خسارة للمكتبة ، ويحزن كثيراً ويوبخ توبيخاً شديداً لعدم اهتمام الكتب .

الصفات التي جعلته أميناً صادقاً للمكتبة هي التقوى والأمانة والإخلاص والخوف من الله وكان كل أصدقائه ممتازين ، ولقب صديقه المقري السيد صديق الباندوي (المتوفى ١٩٨٢م) بتاج العارفين ، وأيضاً كتب صديقه الشيخ السيد محمد الثاني الحسني (المتوفى ١٩٩٢م) أنشودة ندوة العلماء ، وكلما يذكر تاريخ مكتبة ندوة العلماء لا يمكن غض البصر عن جهود الشيخ السيد محمد مرتضى النقوي .

بعد وفاة الشيخ مرتضى ، عُين القاضي محمد هارون الإندوري الندوي المظاهري (المتوفى ٢٠١٨م) أميناً للمكتبة ، وتم إنشاء نظام حديث للمكتبة في عصره بحمد الله ، وجهزت برمجة الكمبيوتر لتنظيم مشمولات المكتبة بعد جهد متواصل بعدة سنوات ، وبمساعدة هذا البرنامج سهل للباحثين والمصنفين حصول معلومات حول محتويات المكتبة بدون أي صعوبة .

رتب جميع كتب المكتبة في هذا البرنامج ، العربية والإنجليزية والفارسية والهندية بطريقة تظهر فيها المعلومات الإجمالية للمحتويات (اسم المؤلف ، وتاريخ النشر ، ورقم التسلسل وما إلى ذلك) ، وهذا العمل كان عملاً عظيماً أقيمت أول مرة في أي مكتبة في العالم ، وتم إنشاء ملف رقمي لمخطوطات المكتبة لكي توفر النسخة الرقمية للكتاب والعلماء والباحثين .

نداء إلى المخلصين :

بعد وفاة الشيخ هارون الندوي تم تسليم مسؤولية المكتبة إلى كاتب هذه السطور .

أخيراً ، نطلب من جميع العلماء ومحبي الكتب التعاون لهذه المكتبة ، لكي يستمر فيضها ، ويستفيد منها الطلاب والباحثون بكل سهولة .

مساهمة يوسف القرضاوي في الفقه الإسلامي المعاصر

بقلم : الأخ ميزان الرحمن قاضي الندوي *

من البداهة أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن القرضاوي كان قد بلَغت شهرتُه الآفاق ، وملأت سمعته بقاعَ الأرض عامةً وفي العالم العربي خاصةً ، حيث إنه كان عالماً ربانياً وفقيهاً أصولياً مبدعاً ومجدداً .

فقد أثرى المكتبات الإسلامية بمؤلفاته القيمة المتنوعة التي تدل على مواهبه العلمية المتميزة الفذة وذكائه البارع ، وقد اصطفاه الله لهذه الأمة الإسلامية ، وأرسله إلى هذه الأمة ليجدد لها شريعة الله وحده حسب مقتضيات هذا العصر ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنَّ اللّهَ عزَّ وجَلَّ يبعَثُ لهذه الأمةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يُجدِّدُ لها دينَها "

وإن مؤلفات القرضاوي تُعد ثروةً قيمةً خالدةً عظيمةً تنوب عنه كتبه في الفقه الإسلامي وعلومه ، والفتاوى المعاصرة .

لو درس أحد كتبه لوجدها كأنها تخاطب النفوس الحية وتناقشها ، ووجدها تغير القلوب من قاسية متمردة إلى رقيقة لينة .

قد ألف الدكتور القرضاوي في مختلف جوانب الثقافة الإسلامية كتباً نيفاً على مائة وخمسين ، فطبعت بالعربية مرات كثيرةً ، ونقلت أكثرها إلى عدة لغات .

فالشيخ الدكتور يوسف القرضاوي كان بطبيعته فقيهاً معاصراً ومجتهداً ، قد أسهم فيها واستنبط المسائل المستجدة ، وقام فيه بتأليف كتب قيمة ، وأبدى رأيه فيه ، وهنا نقدم تعريفاً ببعض كتبه :

الحلال والحرام في الإسلام :

الشيخ القرضاوي قد تناول في كتابه هذا معظم القضايا والأمور التي يعْتني بها المسلم في حياته الشخصية والاجتماعية ، قد وزع هذا الكتاب في أربعة أبواب : ففي الباب الأول أَوْرَدَ القرضاوي مبادئ الإسلام وأسسه في شأن الحلال والحرام ، من أن " الأصل في الأشياء الإباحة " ،

* بنغال ، (الهند) .

وما أدى إلى الحرام فهو حرام " ، و " الضرورات تبيح المحظورات " ، والباب الثاني تَحَدَّثَ فيه عن " الحلال والحرام في الحياة الشخصية للمسلم " ، وفي هذا الباب قد بحث في الأطعمة والأشربة من " ضرورة الدواء " ، و " الفرد ليس بمضطر إذا كان في المجتمع ما يدفع ضرورته " ، والذكاة الشرعية ، فتكلم عن " ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى " و " ما حكم الذكاة بطريق الصعق والكهرباء ونحوه " كما تكلم عن الصيد بالكلاب ونحوها ، والخمر من أن " الخمر داء ليس بدواء " ، والمخدرات من كل ما يضر الإنسان فأكله وشربه حرام " ، والملبس والزينة من " الملبس مطلوب للنشر والزينة " ، وما يحتاج الإنسان إليه في البيت من آنية الذهب والفضة ، وما يقوم به في الكسب والاحتراف من صناعة التماثيل والوظائف المحرمة ، والباب الثالث عنوانه : " الحلال والحرام في الزواج وحياة الأسرة " ، وتحدث فيه عن الغريزة الجنسية لمن لم يتقرب الزنا ، والخلوة بالأجنبية حرام ، والزواج من النظر إلى المخطوبة وحدوده ، والعلاقة بين الزوجين من حفظ أسرار الزوجية ، وتحديد النسل وإسقاط الحمل ، وحقوق المعاشرة بين الزوجين عند النشوز والشقاق ، وبين الوالدين والأولاد من أن التبني حرام في الإسلام ، والباب الرابع وهو آخر أبواب هذا الكتاب ، وعنوانه : " الحلال والحرام في الحياة العامة للمسلم " وتحدث فيه عن المعتقدات والتقاليد ، والمعاملات ، فتحدث فيه عن شركات التأمين وتحريم الربا ، واللهو والترفيه من ألوان من اللهو الحلال ، والعلاقات الاجتماعية من لا يسخر قوم من قوم ، وسوء الظن وعلاقة المسلم بغير المسلم من أهل الذمة ، والإسلام رحمة عامة حتى على الحيوان .

فتاوى معاصرة :

إن الدكتور القرضاوي كتب هذا الكتاب باعتناء عدة موضوعات مهمة تشغل القارئ المسلم ، وميزة هذا الكتاب أنه وضح منهجه الفقهي ، وأسلوبه في الكتابة ، ففي بداية هذا الكتاب ألقى الشيخ الضوء على نهجه في الإفتاء ، فإنه التزم بعدم التعصب والتقليد ، والتحرر من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى مع التوقير الكامل لأئمتنا وفقهائنا .

يعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات الشيخ القرضاوي ، ويشتمل على جزئين كبيرين ، وهذا الكتاب مثل كتابه الآخر " الحلال والحرام في الإسلام " أي ذكر في كلا الكتابين المسائل الشرعية وفق الشريعة الإسلامية .

والشيخ القرضاوي كان يرغب في الإفتاء منذ سن مبكرة ، فكان الناس يقدمونه للإمامة في الصلاة لأجل أنه كان حافظاً للقرآن الكريم ، واغتنم الشيخ هذه الفرصة ، فكان يقوم بالخطبة ويدرسهم وهو طالب في المرحلة الابتدائية ، ومن مسئولية الإمام والخطيب أن يقوم بحل مسائل الناس ويفهم مشكلاتهم ، كما يقوم بتوضيح الشريعة الإسلامية أمامهم حسب ما يقتضي العصر الراهن ، والشيخ القرضاوي كان يهتم بذلك ، وكانت له عناية خاصة في الفقه الإسلامي ، لأنه كان قد تعلم الفقه الحنفي إلا أنه كان متحرراً من الارتباط بمذهب خاص في الفقه ، ومن ميزاته أنه كان يزن الأقوال والمسائل كلها بميزان الكتاب والسنة ، ويجعلها حكماً حتى كان يرفض أقوال كبار العلماء أمام نصوص القرآن والسنة النبوية ، وهذا الأمر أحدث ضجةً في البلد حتى خالفه الناس في قريته وبلده قائلين : " كيف يخالف هذا الشاب كبار الشيوخ فيرفض أقوالهم ؟ وكيف يفقه الناس من غير المتون المعتمدة ؟ وكيف يأتي بأقوال لم نسمع بها من قبل ؟ ولكن الشيخ القرضاوي قد ثبت أمام هذه الأسئلة ، حاج القائلين بالقرآن والسنة ، وطمأنهم بإجاباته بالدلائل المقنعة .

يقول عصام تليمة : " الشيخ القرضاوي قد خرج فيه على نظام الفتاوى المألوف لدى الناس ، والمعروف بالكتابة المقتضبة التي لا تعدو قول المفتي : حلال ، أو حرام ، دون بسط للموضوع وشرح وتعليل ، وبيان لحكمة التشريع وفلسفته ، وهذا الأسلوب إن كان نافعاً في عصر من العصور ، إلا أنه لا يصلح في هذا العصر الحديث ، الذي أصبح القارئ يناقش في كل صغيرة وكبيرة ، سائلاً عن حكمة الشرع فيما يعلن المفتي من رأي " .

وصلى الله على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمين .

شهر شعبان : محطة الإعداد لرمضان ورفع الأعمال إلى الله

الأخ خالد . ك . *

مقدمة :

شهر شعبان هو أحد الأشهر الهجرية المباركة ، الذي يسبق شهر رمضان الكريم ، ويُعتبر محطة روحانية تهيئ المسلم لاستقبال شهر الصيام والعبادة . يتميز هذا الشهر بفضائل عظيمة وأحداث جليلة ، حيث كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يُكثر فيه من الصيام والعبادة . في هذا المقال ، سنتناول فضل شهر شعبان ، وأهم الأعمال المستحبة فيه ، وكيف يمكن للمسلم أن يستغله في الإعداد الروحي لشهر رمضان .

فضل شهر شعبان :

ورد في السنة النبوية العديد من الأحاديث الصحيحة التي تبين فضل شهر شعبان . ومن ذلك ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال : قلت : يا رسول الله ! لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ فقال : " ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم " . (رواه النسائي وصححه الألباني) .

رفع الأعمال إلى الله :

يُعد شهر شعبان فرصةً عظيمةً للمسلم لمراجعة نفسه وأعماله ، حيث تُرفع فيه الأعمال السنوية إلى الله عز وجل . إن إدراك هذا المعنى يدفع المسلم إلى الحرص على الإكثار من الطاعات والتقرب إلى الله .

التهيئة لشهر رمضان :

شهر شعبان هو وقت مناسب للاستعداد النفسي والروحي لشهر رمضان . فمن خلال الإكثار من الصيام والقيام وقراءة القرآن ، يتمكن المسلم من دخول رمضان ، وهو في حالة من الاستعداد الكامل لاستثمار أيامه المباركة .

الأعمال المستحبة في شهر شعبان :

الصيام : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر من الصيام في شهر شعبان حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : " ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان " (رواه البخاري ومسلم) .

* كيرالا (الهند) .

القيام وقراءة القرآن : يُستحب في شعبان الإكثار من قيام الليل وتلاوة القرآن ، كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم في التهيئة لشهر رمضان

الدعاء والاستغفار : يُعد شهر شعبان فرصة للإكثار من الدعاء والاستغفار ، طلباً للمغفرة ورفع الدرجات عند الله ، اعتماداً على قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب " (رواه أبو داود وصححه الحاكم) .

صلة الرحم والصدقة : تُعتبر صلة الرحم والصدقة من الأعمال التي تُقرب المسلم إلى الله ، وشهر شعبان هو وقت مناسب لتقوية هذه الروابط وتعزيز الأواصر الاجتماعية .

شعبان والارتقاء الروحي :

الاستعداد النفسي والبدني : يتطلب استقبال شهر رمضان إعداداً نفسياً وبدنياً ، وشعبان هو الشهر الذي يتيح للمسلم هذه الفرصة . فبالإضافة إلى الصيام والقيام ، يمكن للمسلم أن يُنظم وقته ويُخطط لاستغلال أيام رمضان بشكل أفضل .

مراجعة الذات : شهر شعبان هو وقت لمحاسبة النفس ومراجعة الأعمال الماضية ، استعداداً لتصحيح المسار في رمضان .

ليلة النصف من شعبان :

فضلها : ليلة النصف من شعبان لها مكانة خاصة في الإسلام ، حيث وردت أحاديث تُشير إلى فضلها . ومن ذلك ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن " (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني) .

كيفية إحيائها : يُستحب للمسلم أن يُحيي هذه الليلة بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن ، مع اجتناب البدع والممارسات التي لا أصل لها في السنة ، اتباعاً لما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " (رواه البخاري ومسلم) .

الخاتمة :

شهر شعبان هو محطة مهمة للإعداد الروحي والعملي لشهر رمضان المبارك ، بالإكثار من الطاعات ومراجعة النفس ، يستطيع المسلم استقبال رمضان بقلب نقي وعزيمة قوية . فلنغتنم هذه الفرصة العظيمة لتجديد العهد مع الله ، ولنسعى إلى رفع أعمالنا إليه ونحن في حالة من الطاعة والعبادة ، سائلين الله القبول والمغفرة .

(١) فيا غافر التَّوَّابِ فاغفر ذنوبَنا

بقلم الأخ برويز حاصل الندوي *

قفا نبكِ من سوءٍ فعلناه في الدُّنى ... ومما كسبنا من ذنوب ومأثَم
أحاطت بنا الأخطاءُ من كل جانبٍ ... وناطت بنا نَوْطَ السوار بمِعصَم
وما هذه الدنيا سوى اللهوِ يا تُرى ... فلا تشتغل يوماً بكسبِ المحرّم
ومِن دأبها خَوْنٌ وغَدْرٌ وَخُدعةٌ ... وما ذاك عنها بالحديث المُرجَّم
فو اللّه ثم اللّه تأتي قيامةٌ ... يُجازى جناةُ الظلم فيها بمَظلَم
ومن يستبحْ كبْراً ويحْقِرْ أخاً له ... يُبَعَّدْ من الفردوس مقتاً ويُحْرَمِ
فيا أيُّها الإنسان لا تمش تائهاً ... وأقسِم بترك الكبْر كاملَ مُقْسَمِ
وبادِرْ بأوقات الصلاة مهرولاً ... وإلا فتصلى صاغراً في جهنمِ
فيا غافرَ التَّوَّابِ فاغفر ذنوبَنا ... ونَجِّ العبادَ من صعابٍ ومغرمِ

❖❖❖❖❖❖❖

(٢) لا تقف أخطاء الأناس تبُثُّها

مهما تكن للإلف دوماً مخلصاً ... وجزيتَه خيراً فيوماً تُنْكَرُ
إن أنت أحببت الخلائق وحدها ... دون الإله فذاك حُبٌّ مُنكَرُ
لو أنت أسررت اللئيم دفينة ... يوماً أمام الشامتين ليُظهرُ
إن تُبدِ شيئاً تافهاً يجعلْ له ... مبنًى منيعًا في العيون يُكبَّرُ
كن أنت صاحِ من الذين تهذبوا ... فالمرء دوماً بالدناءة يصغرُ
لا تقف أخطاء الأناس تبُثُّها ... فالله يوم الدين عيبَك يَستُر
للعفو فضل ثابت في ديننا ... بين الورى بالعفو إنك تَكبرُ
فالفقر أفضل من غناك مضاعَفاً ... إن أنت تعص الله فيما يأمر

* أرريا، بيهار ، (الهند) .

(١) الشيخ المحدث قمر الدين الغورخفوري إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ المحدث قمر الدين الغورخفوري في ١٩/جمادى الأخرى ١٤٤٦هـ، المصادف ٢١/ ديسمبر ٢٠٢٤م، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الشيخ قمر الدين الغوخفوري ينتمي إلى بلدة برهل غنج ، من مديرية غورخفور ، أترابراديش (الهند) ، وُلد الشيخ قمر الدين في هذه البلدة في ٢/ فبراير ١٩٣٨م ، وكان والده الحاج بشير الدين قد ربَّاه تربيةً حسنةً منذ نعومة أظفاره ، فبعثه بعد الابتدائية إلى مدرسة إحياء العلوم ببلدة مباركفور ، ثم إلى دار العلوم بمدينة مئو، ومن هنا ارتحل إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند للاستفادة من أساتذتها الكبار أمثال المحدث الكبير الشيخ السيد حسين أحمد المدني ، والعلامة محمد إبراهيم البلياوي ، فأقام في رحاب دار العلوم عدة سنوات ، حتى تخرج في العلوم الشرعية منها ، فبدأ حياته التدريسية من مدرسة عبد الرب بدهلي عاصمة الهند ، ومن هنا دُعي إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند ، وبدأ يدرس الحديث النبوي الشريف ، وكان أسلوب تدريسه مؤثراً قوياً ، يُثني عليه كل من يقرأ عليه ، ويحبه تلامذته وطلابه ، وكان على قسط كبير من العلم والفضل ، والتقوى والورع ، والبساطة في الحياة ، ولما توفي الشيخ المحدث عبد الحق الأعظمي أسندت إليه الهيئة التعليمية لدار العلوم تدريس صحيح البخاري ، وكان يدرسه بكل مواظبة ، ويفيد الخاصة والعامة بإفاداته ومواعظه وخطبه .

كانت للشيخ قمر الدين الغورخفوري علاقة روحية بالمربي الكبير الشيخ أبرار الحق الحقي رحمه الله ، فبايع على يديه ، وأجازه الشيخ الحقي إجازة عامة في التوجيه والإرشاد ، وكان العلماء وعامة الناس يستفيدون منه في هذا الجانب التربوي ، فيزكي نفوسهم من الأمراض القلبية أمثال الحسد والكبر والبغض والعداوة وحب الدنيا ، فكانت مجالسه مجالس رشد وخير .

كانت وفاته خسارةً كبيرةً للأوساط العلمية والدينية ، وقد صلى عليه المحدث الشيخ السيد محمد أرشد المدني رئيس جمعية علماء الهند ، ورئيس المدرسين ، وأستاذ الحديث الشريف بدار العلوم بديوبند ، وتم دفنه في مقبرة القاسمي بديوبند .

ونحن إذ نعزي أسرة الشيخ قمر الدين الغورخفوري على هذا الحادث ندعو الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويكرمه بجنات ونعيم ، ويحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

(٢) الأستاذ محمد يحيى الندوي في ذمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة الأستاذ محمد يحيى الندوي بن القاضي الشيخ محمد معين الندوي في ١٦/ جمادى الأخرى ١٤٤٦هـ ، المصادف ١٩/ ديسمبر ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ محمد يحيى الندوي من مواليد ١٩٥٥م في رحاب ندوة العلماء ، وكان والده القاضي الشيخ محمد معين الندوي نائب الرئيس لندوة العلماء سابقاً ، واصل دراسته في دار العلوم لندوة العلماء ، حتى تخرج فيها عام ١٩٧٦م ، ثم بُعث في بعثة طلابية إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٧م ، فكان من أساتذته بالمدينة المنورة إمام الحرم المدني الشيخ عبد الرحمن الحذيفي وغيره من الأساتذة ، وبايع على يد الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى ، وكان يزوره حيناً لآخر .

شغل الأستاذ محمد يحيى وظيفة الكمبيوتر في الرياض بالمملكة العربية السعودية ، وفي مدن أخرى للمملكة ، وأقام فيها نحو عشرين سنة ، ولما توفي والده الشيخ محمد معين الندوي عام ١٩٩٩م رجع إلى وطنه ، وظل عضواً في مدرسة الفلاح بإندور ، ويخدم المدرسة إلى آخر حياته ، وكانت له مزارع وحقول ومبان للكراء يشتغل بها طول حياته ، حتى وافاه الأجل المحتوم .

صلى عليه نجله الأوسط الأستاذ جعفر الصديقي الندوي بعد صلاة العشاء ، في رحاب مدرسة الفلاح بإندور ، ولاية مدهيه براديش ، ومن أولاده الأخ محمد بلال الصديقي ، والأخ جعفر الصديقي الندوي ، والأخ محمد محمود الصديقي الندوي ، وترك وراءه أهله وأولاده ، وله أخت ، وهي زوجة الأستاذ محمد هارون الإندوري الندوي ، تسكن في رحاب ندوة العلماء مع نجلها الأخ الأستاذ عبد الرحمن الندوي (الموظف في مكتبة شبلي النعماني لندوة العلماء) .

تغمده الله بواسع رحمته ، وأمطر عليه شآبيب غفرانه ، وألهم أهله وأولاده الصبر الجميل .

(٣) الحافظ محمد خليل إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالحافظ محمد خليل بعد ما عاش ٨٣ عاماً من حياته ، وذلك في ٢٣/ جمادى الأخرى ١٤٤٦هـ ، المصادف ٢٦/ ديسمبر ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ الحافظ محمد خليل درس في دارالعلوم لندوة العلماء ، وكان من أقرباء الأستاذ محمد إقبال رحمه الله (مؤسس قسم حفظ القرآن وتجويده بدار العلوم لندوة العلماء) ، فتعلم في تربيته ، وحفظ القرآن الكريم ، فأتقنه ، ثم واصل تدريس القرآن الكريم في مختلف مدارس منطقته ، حتى

أنشأ في قريته مدرسةً سماها " مدرسة مدينة العلوم " في قرية كرم ديه ، بشارع بغي ، من مديرية غونده عام ١٩٨٩م ، وقد زرتها في إحدى حفلاتها السنوية ، فوجدتها خير مركز لحفظ القرآن وتجويده وتدريس العلوم الإسلامية .

كان الحافظ محمد خليل يحبني حباً كثيراً ، فكلما زار ندوة العلماء حضر مكتبي فيها ، ويدور الحديث بيني وبينه حول شئون دينية وإصلاحية ، وكان دمث الخلق ، طيب الشمائل ، لين الجانب ، وقف حياته كلها لخدمة القرآن الكريم حفظاً وتجويداً ، وصلى عليه نجله الأستاذ محمد خالد الندوي الغوندوي ، وترك الحافظ محمد خليل وراءه أهله وأبناءه أمثال محمد يوسف القاسمي ، والأستاذ محمد أرشد ، والأستاذ محمد أسجد ، والأستاذ محمد أحسن الندوي .

فنحن إذ نعزي أسرة الحافظ محمد خليل رحمه الله تعالى على هذا المصاب ندعو الله تعالى أن يغفر له مغفرة تامة ، ويكرمه بجنات النعيم ، ويمطر عليه غوادي رحماته في أعلى عليين ، فإنه على كل شيئ قدير ، وبالإجابة جدير .

(٤) الدكتور عتيق الرحمن الندوي إلى رحمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة الأستاذ الدكتور عتيق الرحمن الندوي في ٢٢/ جمادى الأولى سنة ١٤٤٤٦هـ ، المصادف ٢٥/ نوفمبر ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الدكتور عتيق الرحمن الندوي من مواليد ١٩٤٤م بمدينة بهوجفور ، ولاية بهار (الهند) ، وقد درس في مدرسة مفتاح العلوم بمدينة مئو ، ثم سافر لمزيد من الدراسة إلى دار العلوم بديوبند ، وتخرج فيها عام ١٩٦٥م ، وقد نال شهادة التخصص في الأدب العربي من دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ ، ونال شهادة الدكتوراه حول شخصية العلامة ظهير أحسن شوق النيموي ، من جامعة بتنه بولاية بهار ، وكان له ذوق رفيع في الدراسات العلمية ، وقد عُرف في الأوساط العلمية بهذا الذوق ، فكان يشارك الندوات والمؤتمرات حول الموضوعات العلمية ، ونظراً إلى هذا الذوق العلمي انتخب مسئولاً عن قسم المخطوطات في مكتبة خدا بخش بمدينة بتنه ، كما كان رئيس رابطة الأدب الإسلامي بولاية بهار ، وعضواً بارزاً في الإمارة الشرعية ، والمجلس الملي القومي لعموم الهند ، وله مؤلفات قيمة ، ودراسات علمية ، نُشرت في المجلات الشهيرة .

ونحن إذ نعزي أسرة الدكتور عتيق الرحمن الندوي على هذا الحادث ندعو الله تعالى أن يمطر عليه شآبيب رحمته ، ويرحمه بغوادي رحمته ، ويفسح له جناته ، ويحشر في زمرة عباده الصالحين .

(٥) الأستاذ السيد نعيم أختر الندوي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ السيد نعيم أختر الندوي يوم الأحد في مدينة ديوزبري ، بريطانيا ، في ٢٧/ جمادى الأخرى ١٤٤٦هـ ، المصادف

٣٠/ ديسمبر ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ مصاباً منذ مدة بمرض القلب والسكر ، وقبل يوم بوفاته أدخل في المستشفى ، وكان يشكو صعوبة وألماً في التنفس ، وجرت المعالجة بعناية فايقة ، لكن لم يُكتب له البرء والشفاء ، ولبى نداء ربه عز وجل ، وكان الأستاذ السيد نعيم أختر الندوي في حي قاضيان من بلدة سهس فور في مديرية بجنور بولاية أترابراديش (الهند) ، واصل دراسته في دار العلوم لندوة العلماء ، ونال منها شهادة العالمية والفضيلة ، ثم اختير مدرساً في دار العلوم ، وظل يدرس فيها إلى ١٩٨٢م ، وكان له شغف بكتابة المقالات الإصلاحية والدعوية ، فكانت تُنشر كتاباته في صحيفة تعمير حياة النصف الشهرية الصادرة من ندوة العلماء ، وقد ابتعثته ندوة العلماء بتوجيه من الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى لندن ، حيث أقام ، واشتغل بالتدريس في دار العلوم (التابعة لمركز الدعوة والتبليغ) بمدينة ديوزبري ، وخدم العلوم الإسلامية إلى مدة أربعين سنة ، فتخرج على يديه عدد من العلماء والدعاة وأهل العلم .

ترك الأستاذ السيد نعيم أختر الندوي وراءه أسرةً حافلةً بالأهل والأبناء والبنات أمثال الأخ السيد معاوية الندوي والأخ السيد حذيفة الندوي .

تغمده الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٦) زوجة الشيخ حبيب الرحمن السلطان فوري إلى رحمة الله تعالى

توفيت الراحلة رابعة خاتون زوجة الشيخ حبيب الرحمن السلطان فوري يوم الأحد ١٤٤٦/٦/١٥هـ ، المصادف ٢٠٢٤/١٢/١٨م ، عن عمر يناهز ٨٠ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من فضليات النساء ، عاشت مع زوجها حياة التقوى والصبر ، وقد انتقل إلى رحمة الله زوجها الشيخ حبيب الرحمن السلطان فوري عام ٢٠١٠م ، وكان أستاذاً ناجحاً ، واصل تدريسه في دار العلوم لندوة العلماء حوالي خمسين سنة ، وكان محبوباً لدى الأساتذة والطلبة ، قضت الراحلة الكريمة بعد وفاته حياة نموذجية ، وكانت صالحة وزاهدة في الدنيا ، وكانت تعيش في منطقة كروندیا بمدينة سلطان فور (الهند) ، حتى لبت نداء ربها ، وقد صلى عليها الأستاذ المفتي مسعود حسن الحسني الندوي ، ودفنت في مقبرة كروندیا بمديرية سلطان فور ، وقد حضر المناسبة سكان مدينة سلطان فور والمقرئ عبد الحميد الندوي والأستاذ الحافظ فضل الرحمن الندوي والأستاذ جمال أحمد الندوي والأستاذ مناظر الندوي والمهندس امتياز أحمد والأستاذ محمد سهيل الندوي مدير مدرسة عمر الفاروق بسلطان فور ، وغيرهم .

غفر الله لها مغفرة تامة ، ورفع درجاتها ، وأسكنها فسيح جناته ، وأمطر عليها شآبيب رحمته .

رثاء الشيخ جعفر مسعود الحسني الندوي

للشاعرطارق الأكرمي الندوي

بتكل – كرناتكا – جنوب الهند

أتـاك النعـي بـالأمر الـشديد ... أصـاب القلـب بـالرمي الـسديد

عـشية جاءنـا نبـؤ كريـه ... عن ابن الواضح الحسن الرشيد

فكـان مفجعـاً قلبـاً جريحـاً ... سقوط الشهم والرجل الجليد

حـصيف رأيـه في مـدلهمٍّ ... عـصيٍ مظلـمٍ صـعبٍ بعيـد

رزانـة حكمـة و وقـار علـم ... فـصاحة صـيّت لـسِنٍ وئيـد

رحـاب الـدار دار العلـم ثكلـى ... عليـه فمـا تُكلّـم مـن أديـد

فـسبحان الـذي مـا زال حيـا ... وكـأس الموت مـن حظ العبيد

وللمـوت الـسهامُ فمـا تراهـا ... بمنـأى مـن جميـع أو بديـد

فهـذا منـه في هـذي وهـذا ... مـصاب في قـصيد أو وريـد

وإن فجـاءة في المـوت نحْـسٌ ... سـوى مـوت الفجـاءة للـسعيد

إذ الـبر الكـريم بـه يلاقـي ... إلـه الحـق في أبهـى ورود

ونرجـو في ممـات الـدهس أجـراً ... كموت الهدم من أجر الشهيد

ونرجو رحمة و مزيد فضل

جوار الخالق الملك المجيد

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 71 Issue. No. 03 February 2025

إصدارات حديثة

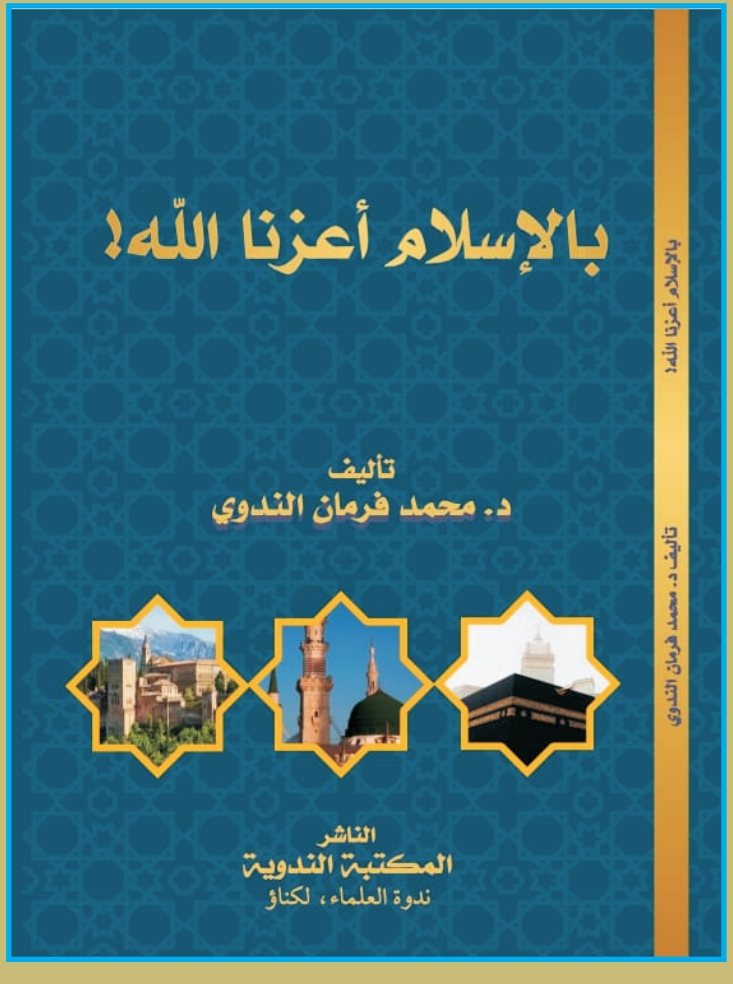

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI